الشرق والحرية

•••

إن الحرية في كل مكان من العالم جذوة الحياة ، ومعين التقدم . من اجلها تثور الشعوب ، وتنقلب الممالك ، وتتبدل نظم العيش ، وبفضلها يرقى الفكر الى الحقائق وينشأ العمران وتزدهر الحضارات ، وبها وحدها يعبر البشر عن وجودهم في رحاب هذا الكون .

أجل، ذلك هو شأن الحرية في عالم الاحياء. اما هنا، في هذا الشرق، فاي عالم هو عالمنا ، وما شأن الحرية في حياتنا؟

الحرية عندنا في قمة الاعتبار .. ولا تسل أي اعتبار ! إنها أروج مثل أعلى يتجاذبه الناس : فهي درة كل لسان ، وصرخة كل خطيب ، وهتاف كل جمهور ، وشعار كل حزب ، وذريعة كل ثائر أو ناقم . يتبناهـا المرء لتبرير الاعتباط ، ويمتطيها محترفو السياسة لقيادة الجماعات .

تلك هي حريتنا ، وذاك هو فعلها فينا . وعبثاً نحاول البحث هنا عن ذلك المفهوم الصحيح للحرية .

ولكن لماذا نعطي الحرية هذه الاهمية ، وفهمنا لها على هذا الحال من النقص ؟ الواقع ان الحرية مثل أعلى وافد الى الشرق ، كما تفد اليه سائر مقومات الحضارة الحديثة ، وعلى نسق البدع والزخارف تماماً . أما عقليتنا فلم تهضمها ، وأما حياتنا فلم تأتلف معها ، وذلك بالرغم من كل القرائن الكاذبة ، فكانت النتيجة ان اتخذناها كالدمية يتلهى بها الطفل .

لسنا نغالي إذا قلنا إن أقوى عنصر من عناصر اخلاقنا الجامعة هو العبودية باوسع معانيها . يجب ان نعترف بهذه الحقيقة ولو أنها مؤلمة . أما الخديعة ودغدغة الغرور ، فهما أعظم تسبباً في إيلامنا ، وأشد إبعاداً لنا عن جادة الشعوب الحية . إن خلق العبودية متغلغل في حياتنا الاجتماعية ، وهو يفسد أبداً ما نحاول هضمه من معنى الحرية . والشواهد على ذلك في المجال السياسي بارزة ، وقد شاعت اليوم معرفة الكثير منها ، كظواهر عبادة الاصنام ، وتقديس الحاكمين ، واقتصار الحياة الحزبية على خدمة الاشخاص بدلا من المبادىء الخ .

لم يخطىء غوستاف لوبون حين قال: إن بعض الشعوب تتعب من الحرية كتعب بعضها من العبودية ،فهي لا تكاد تفوز بها حتى تتنصل منها لتستظل عبودية جديدة . فنحن من هذه الفئة المريضة ، لان الحرية تفرض التبعة ، ونفوسنا لم تألف التبعة ، او لا تقوى على تحملها والفكر في هذا الظلام .

أما الحرية الفكرية ومشتقاتها فامرها لا يحتاج الى بيان . وأنّى لها التفتح ولدينا حول العقائد والتقاليد والخرافات هالة مما نسميه « بالموضوعات الحساسة » التي نحرّم بحثها أو الاشارة اليها . وأما في الاخلاق ، فما على الباحث إلا ان يتساءل عما اذا كان السلوك الحر يتفق وما نعاني من شيوع النفاق والملق ، او من التجاوز لحقوق الآخرين وتجاهل الواجبات ، اوُ من تضحية حرمة الانسان على مذبح النفع الرخيص .

إن جزءاً كبيراً من تبعة هذا الانحلال يقع على تقاليدنا في التربية . فالمبدأ الاساسي الذي ما يزال قائماً في البيت الشرقي هو القضاء على شخصية الجيل الناشىء بفرض شخصيتنا وأساليب جيلنا عليها . وهذا المبدأ وليد أنانيتنا الجاهلة التي تجعل من الصغير الناشىء كائناً تافه الشأن في اعتبارنا .

لقد أخفق الشرق في تفهم الحرية . وسوف يظل الشرق راسفاً في أغلال الانحطاط الى أن يكتشف شروط الحرية وقيودها ، والى أن يرى فيها « التعبير العيني لقيمة الانسان » .

محمد وهبي

امثال الجحيم

لوليم بليك

بقلم جبرا ابراهيم جبرا

استاذ في الآداب من جامعة كمبردج

وليم بليك من فلتات الادب الانجليزي ، هذا الشاعر الرسام الذي عاش في القرن الثامن عشر رومانسياً قبل ان تبدأ الحركة الرومانسية ، يدعو الى الايمان المطلق في الخيال والرؤيا ، ويخالف عصره الذي يعظم « العقل » ، قائلا : ان العقل انما يعتمد على الحواس الخمس ويعمى عما وراءها . فليس عجيباً اذن ان يعيش مغموراً ، الى ان تطغى الموجة الرومانسية على الفكر والعادات، فيكتشف وليم بليك في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن لاول مرة ، ويوضع في طليعة العباقرة الذين يعتز بهم الفكر الانكليزي .

إن شعره ورسمه يتمم كلاهما الآخر . فقد كان يملأ كتبه بالصور التي لا توضح قوله بقدر ما تضيف اليه من معنى جديد فكانت خطوط الصور في كثير من الاحيان تلتف حول ابيات الشعر والفاظه ، او يضع اجزاء قصيدته بين تلافيف الصور .

واغرب من ذلك انه كان ينظم قصائده ويرسم تصاويره ، ويحفر لوحاتها ، ثم يطبعها جميعاً بنفسه ، ويفتح دكاناً ليبيعها بنفسه ايضاً ! وقد تزوج من امرأة امية علمها القراءة والرسم لتساعده في عمله الشاق ، فكانت خير عون له في حياته البائسة ، ولعلها انقذته من الجنون .

وقد اتهم بليك بالجنون لادعائه بانه يرى رؤى توحي اليه بالقول والرسم ، ويتكلم في كتبه « النبوية » بالرموز مازجاً الشعر بالنثر ، ويبتدع الاساطير ويعطي آلهتها اسماء من نحته ، ويصور الكون في اصطلاحات من خلقه . ولذلك ما زالت هذه « الكتب النبوية » عسيرة الفهم ، وان يكن معظم رموزها قد حل ، ومع هذا فان صعوبتها لا تقلل كثيراً من جمالها .

ونحن اليوم نستطيع تعليل مثل هذه الرؤى على طريقة التحليل النفسي ، فنقول إن بليك كان يستطيع ان يغوص الى اعماق اللاواعي ، فيطلق الصور المستقرة هناك في اشكال فنية رائعة ، غريبة الجمال احياناً ، واحياناً رهيبة كالحلم المخيف . ولكن أنى للقرن الثامن عشر ان يعترف بمثل ذلك الفن ، عندما كان السير جشوا رينولدز ـ رئيس الاكاديمية الملكية للرسامين ـ يصر على ان المغزى في العمل الفني يجب ان يكون عاماً ، وبليك يصر على وجوب كونه فردياً خاصاً ؟

ولد بليك سنة ١٧٥٧، ولم يذهب الى المدرسة، ولكنه بعد العاشرة من عمره ذهب الى مدرسة للرسم . وقد قال لزوجته انه في سن الرابعة رأى رأس الله عند النافذة ، وانه في السابعة رأى النبي حزقيال في الحقول والملائكة بين الشجر ، «واجنحتهم البراقة تلمع على الاغصان كالنجوم» . وقد كتب بليك شعراً كثيراً عن الطفولة مملوءاً بهذا الجو من الجمال والعجب ، كأن الطفل في براءته على اتصال بعالم سحري لا يعرفه الكبير .

وليس في حياة هذا الشاعر من الحوادث سوى العمل المستمر والخيبة المتكررة ، ولكنها حياة مفعمة بالفكر والخلق . وفي آخر يوم من ايامه اشتغل في تلوين صورة ، كان قد رسمها منذ سنوات ، تدعى « الطاعن في الايام » تصور « الله » يخطط هندسة الكون . فلما فرغ منها دعا زوجته وقال : « لقد كنت زوجة صالحة . سارسم الان صورتك » فجلست قرب فراشه ، ورسمها لنصف ساعة . ثم ، كما قالت زوجته فيما بعد : «اخذ يهلل ويرتل تراتيل الفرح والنصر بصوت مرتفع وعزيمة منتشية ، مما جعل الجدران تردد صدى صرخات سعادته» . وهكذا مات في سن السبعين سنة ١٨٢٧.

ان الفن عند بليك مسألة روحية . وينحصر اهتمامه دائماً في النفس البشرية حيث توجد الحقيقة : وكل ما تراه العين ليس الا انعكاساً غير واضح لتلك الحقيقة الروحية . فيقول : « ان ادراكات الانسان لا تحدها اعضاء الادراك : فهو يدرك اكثر مما تستطيع الحواس ان تكتشف مهما كانت مرهفة » . وهذه المقدرة على الادراك يدعوها « الخيال » ، ويقول ان الخيال اعظم دقة من « الطبيعة النباتية » .

كان بليك صوفياً ، وما « الخيال » عنده الا الوسيلة لفهم الكون والحياة الحاضرة والمقبلة . ويسمي الخيال او «الادراك»

احياناً « بالعزيمة » . والعزيمة في رأيه هي القوة الناتجة عن وحدة الجسد والروح وحدة لا تتجزأ، وهي «الحياة الحقيقية» و « الملذة الابدية » ، في حين ليس العقل الا «حدود العزيمة او محيطها الخارجي» .

وفي « زواج السماء والجحيم » يشرح بليك فلسفته بوضوح اكثر من اي كتاب آخر من كتبه « النبوية » ، وان يكن فيه كثير من التهكم على عصره . وخلاصة فكرته فيه انه ما دمنا نفصل بين الاضداد ، لن يستطيع الانسان ان يتقدم . فيقول :

« لا يمكن التقدم بدون الاضداد . فالجذب والدفع، والعقل والعزيمة ، والحب والكراهية، كلها ضرورية للوجود الانساني .

« ومن هذه الاضداد يصدر ما يدعوه المتدينون الخير والشر . فالخير هو السالب الذي يذعن للعقل . والشر هو الموجب الصادر عن العزيمة .

« والخير هو من السماء ، والشر هو من الجحيم » .

ثم يقول ان الناس يرتكبون الخطأ اذ يعتقدون :

« ١ ـ ان للانسان عنصرين موجودين حقيقيين، هما الجسد والروح ، و٢ ـ ان العزيمة ـ وتدعى الشر ـ هي وحدها من الجسد ، وان العقل ـ ويدعى الخير ـ هو وحده من الروح .

في حين ان اضداد هذه هي الصحيحة ، وهي : « ـ ليس للانسان جسد يتميز عن روحه ، لان ما يسمى بالجسد ليس الا جزءاً من الروح تتبينه الحواس الخمس . و٢ ـ العزيمة هي الحياة الوحيدة ، وهي من الجسد، والعقل هو حدود العزيمة او محيطها الخارجي و٣ ـ العزيمة ملذة ابدية » .

وليست صوفية بليك من الضرب الذي يستوجب الزهد والتقشف . فان شعره ونثره مليئان بكل ما يبرر الملذات الطبيعية ما دامت قسماً من الحياة ، « وكل حي مقدس » فهو يعتقد ان الانسان مفطور على الطيبة الخلقية ما دام بعيداً عن القوانين والكهنة والحكومات ـ كما ترى في « امثال الجحيم ». وقد قال جان جاك روسو مثل ذلك ، وردد هذا الرأي كثير من الرومانسيين فيما بعد ، وهو الرأي الذي بنى عليه جبران خليل جبران قصيدته « المواكب » .

وقد كتب بليك لصديق يقول : « لا اخجل ولا اخشى ان اخبرك بما يجب ان اقوله لك : وذلك ان هناك رسلا من السماء تسيرني ليل نهار ... ولا اقحم مثل هذه الامور على الآخرين الا اذا سألوني ، وحينئذ لا اخفي الحقيقة عنهم . فاذا كنا نخاف ان نفعل ما تمليه علينا ملائكتنا ، ونرتجف من الواجبات المفروضة علينا، اذا كنا نرفض ان نقوم بالافعال الروحية بسبب مخاوف طبيعية او رغبات طبيعية ، فمن له ان يصف بؤس حالة كهذه وآلامها ؟.. ان يشق علي السير في طريقي ، فاني لست اخشى العثرة ما دمت اسير فيه » .

***

اما « امثال الجحيم » فهي قسم من «زواج السماء والجحيم» [١٧٩٣] وقد كتبت نثراً ، وليس هناك ما يشوب جمالها ووضوحها ، حتى ولو لم يعرف القارىء النواحي الاخرى من تفكير وليم بليك .

أمثال الجحيم

●

في وقت البذر تعلم ، وفي الحصاد علّم ،وفي الشتاء تمتع .

سق عربتك ومحراثك على عظام الموتى .

طريق الاسراف يؤدي الى قصر الحكمة .

التبصر عانس قبيحة غنية يخطب ودها العجز .

من يشتهِ ولا يفعل ، يولد الوباء .

الدودة المقطوعة تغفر للمحراث .

من يحب الماء اغمسه في النهر .

الاحمق لا يرى نفس الشجرة التي يراها الحكيم .

من لا يشع وجهه لن يمسي كوكباً .

تعشق الابدية ما ينتجه الزمن .

ليس للنحلة الشغول وقت للحزن .

ساعات الحماقة تعدها الساعة ، ولكن ساعات الحكمة لا ساعة تستطيع عدها .

كل طعام صالح يجنى بلا شبكة ولا فخ .

في سنة المحل أحضر العدد والوزن والكيل .

لن يكتفي عصفور من التحليق ، إذا حلق بجناحيه هو .

الجسم الميت لا ينقم لما أسيء اليه .

اسمى عمل تفعله هو ان تضع عملاً آخر نصب عينيك .

لو ثابر الاحمق في حماقته لاصبح حكيما .

الحماقة رداء النذالة .

الاستحياء رداء الكبرياء .

تبنى السجون بحجارة القوانين ، وتبنى المواخير بحجارة الدين

زهو الطاووس من عظمة الله .

شهوة الكبش من جود الله .

غضب الاسد من حكمة الله .

عري المرأة من عمل الله .

الزائد من الحزن يضحك . الزائد من الفرح يبكي .

زئير الاسود ، وعواء الذئاب ، وهياج البحر العاصف ، والسيف المدمر ، اجزاء من الابدية اعظم من ان تدركها عين الانسان .

يذم الثعلب الفخ ، لا نفسه .

الافراح تحبّل . الاحزان تلد .

ليلبس الرجل لبدة الاسد ، ولتلبس المرأة جزة الحمل

العصفور عشاً والعنكبوت نسيجاً والمرء صداقة .

الاحمق المبتسم الاناني ، والاحمق المزورّ العابس ، يعدّ كلاهما حكيماً ليكون عصا [للعقاب] .

ما يثبت الآن بالبرهان لم يكن فيما مضى الا من بنات الخيال .

الجرذ والفأر والثعلب والارنب ترقب الجذور ، والاسد والنمر والحصان والفيل ترقب الاثمار .

البئر تحتوي ، والينبوع يفيض .

فكرة واحدة تملأ الاتساع الشاسع .

كن دائماً مستعداً للجهر برأيك ، يتجنبك الدنيء .

كل ما يمكن ان يصدق هو احدى صور الحقيقة .

لم يخسر النسر بقدر ما خسر حين رضي ان يتعلم من الغراب .

الثعلب يدبر لنفسه ، والله يدبر للاسد .

فكّر في الصباح . واعمل في الظهيرة . وكل في المساء . ونم في الليل .

من يسمح لك بان تخدعه ، يعرفك .

كما يتبع المحراث الكلمات ، هكذا يجزي الله الادعية .

نمور الغضب احكم من خيل التعليم .

توقع السم من الماء الراكد .

لن تعرف ما الكفاية حتى تعرف ما هو اكثر من الكفاية .

استمع الى توبيخ الاحمق : ذلك من حق الملوك .

العينان من نار ، والخيشومان من هواء ، والفم من ماء ، واللحية من تراب .

الضعيف في الشجاعة قوي في الحيلة .

لا تطلب شجرة التفاح من شجرة الزان ان تعلمها كيف تنمو ، ولا الاسد يطلب من الحصان ان يعلمه كيف يهاجم فريسته .

من يأخذ ويشكر ينتج غلة وفيرة .

لو لم يكن غيرنا احمق لكنا نحن الحمقى .

روح الفرح العذب لن يدنسها شيء .

عندما ترى النسر فانك ترى جزءاً من العبقرية . فارفع راسك !

كما تختار الدودة اجمل الاوراق لتضع عليها بيضها ، هكذا يضع الكاهن لعنته على اجمل المسرات .

تكدح الاجيال لتخلق زهرة صغيرة .

العن القيود . بارك التسهيلات .

خير النبيذ اعتقه ، وخير الماء احدثه .

الادعية لا تحرث ! والمدح لا يحصد !

الافراح لا تضحك ! والاحزان لا تبكي !

الرأس سمو ، والقلب شعور ، واعضاء التناسل جمال ، والايدي والاقدام تناسب .

كالهواء للطير والبحر للسمك هكذا الاحتقار للحقير .

تمنت البقرة لو كان كل شيء اسود ، والبومة لو كان كل شيء ابيض .

فورة الحيوية جمال .

لو انتصح الاسد من الثعلب لكان حيالا .

يوجد التحسين طرقاً مستقيمة ، غير ان الطرق الملتوية بلا تحسين هي طرق العبقرية .

خير لك ان تقتل طفلا في مهده من ان تغذي رغبات لا تحققها بالفعل .

حيث لا يوجد الانسان ، تكون الطبيعة قاحلة .

لا يمكن ان تقال الحقيقة لكي يفهمها الناس ولا يصدقوها .

كفاية ! او اكثر مما ينبغي .

جامعة هارفرد - امريكا

جبرا ابراهيم جبرا

اشعة وحباب

✡

الآية فقط فهمت معنى قولهم: الناس الى اشباههم اميل، اذ وجدت كل رويبضة، وكل مدلّس، وكل خب منافق يروج نحواً من الرواج الرائع!

ـ مسكين هذا الوسط! من غبائه يسلح المنتفعين بسمة الحيلة، وسمعة الذكاء، فلو نقلت «عباقرته البهاليل» الى وسط يفكر بعقله، وينظر بعينه، لا نسلخ اهاب هؤلاء، وبدوا ـ كما هم ـ اقزاماً متقيحي الاجسام والارواح.

ـ اريحية الكثيرين تجارة، محض تجارة، واين الاريحية من كرم يدنسه معنى الشراء، ومن عطاء تخزيه روح المساومة.. ليس في بلادنا عطاء هو العطاء، لانه فيها دائماً عوض عن عبودية ما. كم اتمنى ان اجد لأهب اعدائي بيد سحرية تسعى اليهم بالنعمة في ظل ليل ضرير.

ـ علم الغيب في امة بادئة مشدود الاسباب بالسماء، وفي امة ناهضة مشدود الاسباب بالتجارب، وهو واحد في الامتين، ولكن مظهر اختلافه في عقول كل منها ومداركها.

ـ تشع الخاطرة في تأمل المفكر اشعاعة المصباح حين تسري الشحنة كلها في سلكه، ثم تنطفي.. تغوص في اعماق تأمله المتدافع كالبحر، وكما لا تعود موجة تلاشت، تضيع الخاطرة فلا تعود بعينها الى الابد.

ـ من قديم، من اقدم القديم تعاقد رجال الحكم، ومحترفو الدين والعلم على استغلال الشعوب، اولئك يضعون الخطة ويضمنون ثمنها، وهؤلاء يروجون لها وينفذون مبادئها، ولم تتفق الطبقتان على خير الا في فترات نادرة ندرة الخير في نفوس الحكام.

ـ «التشهير» من انفع اسلحة الحق، واجدى آلاته، والمؤسف ان اهل الحق المغلوبين القوه بضعف، وشهره ـ بصلف ـ جماعة الباطل، وراحوا يهاجمون به كل حر كريم، فيحيطونه بالاشاعات والاباطيل من اوانهم ومعراتهم.

ـ سجلوا: إننا نحيا في هذا الجيل حياة وثنية خالصة، تقدس فيه العامة الحيرة المضللة اصناماً من مقالع الاحتراف، في سياسة او في دين، ويقدس هؤلاء، لا يقدسون غير شهواتهم، ولا يحرصون الا على بقائها.

ـ النقد الذاتي عامل خصب في ميزان التطور والصمود. فاحتكم اليه بروح من التجرد والاخلاص للحقيقة، اذا حرصت على ان تكون من الاحياء الامناء.

ـ حرصت على ما اقدر من خدمة الحق بعيداً عن «خشبة دعبل» ثم ظهر لي ان حياة الحر موصولة «بالخشبة». وان حياة الناس لا تصلح الا بمثل ادبه الحر الثائر.

ـ كثير ممن «انجبتهم» الاوضاع السيئة، يسرقون باسم العرف، ثم يجمدون اموالهم المسروقة هذه على صورة تركات مشروعة وهي في واقعها تركات كما يزعمون ولكن تركات انانية، فيها دماء الفقير، وجهد الكادح، وايمان الغر، وعقل المغفل.

ـ قلت لولدي: قف امام الدرس وقفة المحارب، برهافة حسه، وحضور ذهنه، واعلم ان كرامتك رهن بمنقلبك عنه، فان الفرار منه هزيمة اشنع من الهزيمة، اما الغلبة فلك محققة شرط التأكد من شخصيتك الواعية.

ـ قلت لولدي مرة ثانية: الفروق بين الذكاء والغباء تكاد تنعدم مع الانتباه والدأب، اذا شئت النجاح المطرد المتفوق جرد ذهنك من مشاغلك الصبيانية حال الدرس، اما الاعتماد على الذكاء المحض فغباء من الغباء في ماله ونهايته.

ـ وقلت له مرة: ارفق غداً بالنقاد والصحفيين. عبّد لهم من تواضعك طريق الحب، كي تتيح لهم فضيلة الانصاف، ولا تنس الفرق بين التواضع والتملق، فان التفريق بينهما اول حدود الشخصية المستقرة الناضجة.

ـ مسكينة بلادي: البلاد العربية، لقد حكمت عليها، على حاضرها وصية اخلاقها الاصيلة القديمة القائلة: احذر صولة الكريم اذا جاع.

ـ الاحرار في الساحة ينتظروني. يلتفتون وراءهم الى المؤخرة عليهم يروني.. انهم يتمنون في سبيل لقائي أن يلح علي الاضطهاد، ايها الاحرار اطمئنوا، انكم ستجدونني يوم الكريهة في الطليعة طليعة الضعفاء الاقوياء، اما الآن فدعوني احمل الشمعة امام مهازيل الماشية، فنحن في دهليز عميق عميق، مظلم مظلم، وعسى ان نثغر فيه درباً الى البيدر تحت الشمس، او نجعل منه نفقاً الى المنجم

النبطية لبنان — صدر الدين شرف الدين

عندما قتلت حبي

☆

للآنسة نازك الملائكة

•

بغداد

☆

وأبغضتك لم يبق سوى مقتي أناجيه
وأسقيه دماء غدي وأغرق حاضري فيه
وأطعمه لظى اللعنات والثورة والنقمه
وأسمعه صراخ الحقد في اغنية جهمه
ومن إغفاءة الموتى أغذّيه
وأنثر حوله الاشباح والظلمه

***

وأبغضت اسمك الملعون والأصداء والظلا
كرهت اللون والنغمة والايقاع والشكلا
وتلك الذكريات الخشنة الممقوتة الفظّه
هوت وتأكّلت وثوت مع الآباد في لحظه
وعدتُ قصيدة تجربة جذلى
وقلتُ الأمسُ ما عاد سوى لفظه

***

وتمّ النصر لي وهويتَ تمثالاً الى الهوّه
وجئت لأدفن الاشلاء تحت كآبة السروه
وراح الرفش في كفي يشقّ الارض في نهم
فلامس في الثرى جسداً رهيباً بارد القدم
ورحت أجرّه للضوء مزهوّه
فمن كان ؟ بقايا جثة الندم !

***

وكان الليلُ مرآة فأبصرتُ بها كُرْهي
وأمسي الميت لكني لم أعثر على كنهي
وكنتُ قتلتك الساعة في ليلي وفي كأسي
وكنت أشيّع المقتول في بطء الى الرمس
وأدركت ولون اليأس في وجهي
بأني قطّ لم أقتلْ سوى نفسي .

ست الكل

قصة

كانت الشقة التي اسكنها في شارع « درب الجماميز » تطل على حانوت « المعلم ياقوت » الحلاق ، وانا يومئذ اجتاز مرحلة الدراسة في كلية الطب .

وتوثقت بيني وبين صاحب الحانوت صداقة الجوار على طول الايام ، فاذا مللت الدرس ، او تهيأ لي وقت فراغ ، نزلت اليه اجالسه واحاوره، فيطرفني بنوادره وتعقيباته على احداث الحياة، طلي الاسلوب ، فطري الفكر . ومما حبب الي مجلسه أنه كان لين العريكة ، وديع النفس . يتنكب عن الشر ، ويجنح الى القنوع .

اما « عنقود » صبي الحانوت ، فكان في اوج فتوته ، فارع العود، عريض المنكبين، معجباً بنفسه، شديد الخيلاء... اذا غاب معلمه عن الحانوت تراءى بالباب عابثا بشاربه الطرير، وهو يتموج تارة ويرقص حاجبيه تارة ، مبعثراً نظراته المتبجحة على من يعبرن الطريق ، ولسانه يرشقهن بالبذيء من الفاظ التحرش والمغازلة .

ولم يكن « المعلم ياقوت » يجهل بعض اخلاق الفتى « عنقود » وطالما عزره وثار عليه ، ولكنه كان سريع العفو عنه ، راجعاً الى البر به، ولا غرو ، فالفتى ربيبه، كفله منذ الطفولة، والطريق يكاد يلتقمه بين المشردين الذين لا اهل لهم ولا كنف !

وكنت في بعض الاحيان انصح لهذا الفتى ان يلزم جانب الحياء ، وان يكون مطيعاً لمعلمه ، بيد انه كان يستقبل نصحي بابتسامة استخفاف ، ويتمادى فيما هو فيه من غواية ، ولاحظت انه يتحدث عن معلمه مستطيلا عليه ، متهكما به ، كانه لا يباليه ..

فآليت على نفسي الا اعاود التحدث اليه في اصلاح امره ، وشعرت نحوه باشمئزاز وزراية .

وشهدت « المعلم ياقوت » يوماً يكاد يتميز غيظاً من افاعيل غلامه ، ويشكو من تمرده وتمرده ، فسألته : لماذا لا يقصيه عنه ويستريح من شره ؟

فاجابني في لهجته الفطرية الساذجة :

كدت اقصيه ، لولا ان زوجتي استعطفتني له ، وذكرتني بانه يعدم المأوى اذا اقصيته ، واني عنه مسئول ، فهو بمثابة ولدي الكبير ، وله علي حق .

وحدق فيّ « المعلم ياقوت » وهو يكمل حديثه :

اصابت زوجتي فيما تقول . وما اطيب قلبها فيما تشير به ... لو كان هذا الغلام يستطيع الاستقلال بشأنه لتركته يعول نفسه .. اتظن انه على طوله وعرضه يحسن ان يقص شعر غلام ؟ وهل هو صالح لشيء ؟ اني صابر عليه لعل الله يهديه .

وانتهى الي من حديث الرجل انه يقطن حي « السيدة زينب » غير بعيد من مقر عمله ، وان له من زوجته ابنة تبلغ الخامسة تسمى « ست الكل » يشتد بها تعلقه . وكثيراً ما جلبها الى الحانوت معه ، لكي تتسلى وتلعب على مرقبة منه . وقد شهدتها طفلة بسامة المحيا ، لطيفة الروح ، موفورة المرح ، لا تفتأ تداعب عروسها القطنية الملونة ذات الاهداب الغزار ... فاذا دنوت من الطفلة ملاطفاً اسائلها : كيف حالك يا عروس ؟

واجهتني بنظرة وديعة ، وهي تهمهم بالتحية والجواب . ثم تتشاغل بملاعبتها لعروسها القطنية في حياء ، ولما حرصت على ان اوافيها في الحين بعد الحين ببعض الحلوى، أنست بي، وركنت الي ، وجعلت تناقلني حديثها الوادع الرقيق .

وآسفني ذات يوم ان أرى « المعلم ياقوت » بادي الضعف ينتابه سعال مريب ، فاخذتني به رأفة، وعرضت عليه ان اتفحصه، وان ابذل في سبيل صحته قصارى خبرتي الجديدة بالطب، فتعذر

علي وتأبى، وقال في ايمان عميق: يا سيدي.. على الله الاتكال.

وتكاثرت الفترات التي يتخلف فيها الرجل عن عمله، وهو ينتحل لذلك شتى المعاذير، ولكن جسده كان يزداد على الايام من هزال، ووجهه تعروه دكنة واحتقان.

ومرة اقبلت عليه اصافحه، فاحسست انه محموم، فقلت له من فوري: انت تهمل صحتك يا «معلم ياقوت» ... ما كان اولاك بان تلزم فراشك اليوم.

فكسر عينيه صامتاً، سارح الفكر، ثم ابتسم ابتسامة محسورة يقول:

من يطعم اسرتي ان طاوعتك فلزمت الفراش؟ أفحسبت ان «عنقوداً» قادر ان يكسب لنا بضعة دراهم؟ وهل في مستطاع هذا المتسكع على طوله وعرضه ان يقص شعر غلام؟ قلت لك الاتكال على الله يا «دكتور»!

على أنه اضطر ان يحتبس في فراشه بعد ايام، وعدته في داره، مصطحباً احد الاطباء المتخرجين، وزاولت معالجته ومعاونته بقدر المستطاع، حتى خفت عنه وطأة العلة، وزايلته بعض اعراض الداء.

وابطأت عنه حيناً، ثم قصدت داره في الضحوة، فلما طرقت الباب طال انتظاري وانا اسمع هرجاً يمازجه دبيب الخطا تغدو وتروح، واخيراً فتح الباب عن زوجة «المعلم ياقوت» شعثاء، عليها اضطراب، وقالت متلعثمة: المعلم خرج.

وما لبثت ان اغلقت الباب، فوجدتني لحظات لا اريم مكاني، وقد تملكني فضول، واذا سمعي يتلقط همسات حبيسة تبينت فيها صوت الزوجة يتحدث الى صوت ليس بالغريب عليّ... وسرعان ما انقطع الهمس، فعجلت انصرف، متوخياً حانوت «المعلم ياقوت» فالفيت الرجل على بابه يلاطف طفلته، وهي تهدهد عروسها القطنية، فانبريت اسأله:

لماذا جشمت نفسك مشقة الخروج؟ الا تشفق على نفسك؟

ــ انا اليوم احسن حالا والحمد لله.

فجسست يده اتعرف النبض والحرارة، وقلت له:

حقاً تحسنت صحتك، ولكن لا بد ان تحتاط، وحذار من الاسراف على نفسك في العمل... لماذا اراك مصراً على ان تترك صبيك «عنقوداً» وشأنه؟ الا تجعله يعينك في عملك ببعض العون؟

فاجابني ساخر اللهجة:

«عنقود»!... واين «عنقود»؟ انه يبدو حيناً ويختفي احياناً، منذ ثلاثة ايام لم يقع نظري عليه.



الاستاذ محمود تيمور

فعجبت اشد العجب من قوله، وسمعي تعاوده تلك الهمسات التي تسربت اليّ منذ قليل من خلف الباب، حين كنت في بيت «المعلم ياقوت». وهممت ان اصارح الرجل بجلية الامر، ولكني وجدتني أطرق، وأنا محنق أسيف.

ولبث الرجل يواصل التداوي من علته، باشرافي عليه، حتى راجعه نشاطه، وأشرقت على وجهه البشاشة والتطلق، فاما «عنقود» فقد انتظم امره في خدمة معلمه خيراً مما كان من قبل، واستوثقت له امرة وسلطان. بيد أني ما كنت اراه حتى أعرض عنه، يحدوني اشمئزاز منه، ومقت له.

وأزف الصيف، وحان أن اسافر لقضاء فترة العطلة، فرايت ان اعود «المعلم ياقوت» مودعاً، وأطلت جلوسي اليه، أرسم له خطة العلاج، ومنهج التمريض، لا آلوه نصحاً وارشاداً. وانصرفت عنه، تتبعني دعواته الصالحات يجأر بها الى الله.

وعدت في مستأنف العام الدراسي اواصل العمل، وقد طال انقطاعي عن العاصمة ثلاثة اشهر. فلما بلغت بيتي ألقيت نظرة على حانوت «المعلم ياقوت» فاذا هو مغلق، فسألت بعض الجيرة في شأنه، فاعلموني ان الرجل طريح فراشه منذ اسبوع، فازمعت ان أزوره من غدي، ولما أشرفت في الصباح على داره، وافقت

« ست الكل » ابنة صديقي تفترش الطوار ، على سحنتها كآبة ، وبين يديها عروسها القطنية تعبث بها في خمول ، فما ان ناديتها حتى هبت الي تجري . وما لبثت ان احتضنت ركبتي ، وقد أخذها الشهيق وانخرطت في البكاء ، فانحنيت عليها اهدىء من روعها ، واسائلها :

ما بك يا بنية ؟ كيف حال أبيك ؟

فرفعت الي عيناً خضلتها الدموع ، وقالت في لهجة المتعجل :

امي ماتت ... امي ماتت ...

وعاودها البكاء .

ولم املك ان اتكلم ، ورجف قلبي رأفة بتلك الصبية في شعورها الحزين ، فاخذت بيدها احاول التلطف بها والتسرية عنها ، حتى وقفنا عند حانوت حلواني في حارة قريبة ، فاشتريت لها ما يبهج له قلب الطفل الغرير ، وقلت للصبية :

هذا كله لك ولعروسك الحلوة ...

فاشرق وجه البنية ، وصحبتني حتى باب البيت ، ثم أخلت يدي من يدها عائدة الى مكانها على الطوار تفتح لفائف الحلوى وتتذوق

وصعدت بيت « المعلم ياقوت » ادق بابه ، ولبثت فترة أدق ، واخيراً سمعت خفق خطوات زاحفة ، تصاحبها سعلة خشنة متمزقة ، وفتح الباب عن الرجل يحييني ويرحب بي ... ولما دخلت معه تقدمني باذلا جهده في حمل مقعد الي ، وهو يميط بجلبابه الغبار عنه ، ويقول :

تفضل يا سيدي بالجلوس ، وانتظرني قليلا اعد لك القهوة .

فاقسمت عليه ان يريح نفسه ، وان يعفيني من قهوته ، فجلس على كرسي وطيء بجانبي ، وانا اتفرس فيه ، واتفحص خفية امره فراعني منه تغير جسيم : لقد جف عوده ، وتشابكت تجاعيده ، وبدا وجهه كاسفاً عليه زرقة .

وانبرى الرجل يحدثني باخباره ، ما جل منها وما دق ، آخذاً باطراف الاحاديث ، وانا في كل لحظة اتوقع ان يفضي الي بما عرفته من طفلته على باب الدار ، ولكنه لم يفعل ، فلم اجد مفيضاً من ان اقول : لقيت « ست الكل » بالباب تبكي ...

فاظلت وجه الرجل سحابة دكناء ، وهمهم متثاقل الكلم :

نعم ... على امها تبكي ...

فبادرته اقول :

البقية في حياتك ... عجباً ... مبلغ علمي انها لم تكن تشكو مرضا

فاجابني جامد اللهجة ، وقد اشار بظهر يده اشارة زراية واهمال :

لقد ماتت ... وكفى !

وبدا عليه اهتياج مكبوت ، فنهض بغتة كانه يبغي مخرجاً يتغلب به على اعصابه المستوفزة ، ولكنه ما عتم ان تهاوى على كرسيه ، قلت عليه اتبين امره ، واحاول انعاشه ، فألفيته يغطي عينيه بيديه ، وقد هيمنت عليه نوبة من النشيج .

فقلت له اواسيه : الصبر يا معلم ... انك رجل ... والدنيا لا تدوم لحي ، ولا يدوم فيها حي ...

فكفكف الرجل عبراته ، وحملق في وجهي متهدج الصوت يقول :

أتراني ابكي عليها ؟ أفحسبت انها ماتت حقاً ؟ عليها اللعنة ولا ردها الله .

فاخذتني الهنة وانا اقول : ماذا في الامر اذن ؟

ــ لقد كذبت على ابنتي ، او قل اني ضحكت منها فافهمتها ان امها ماتت ، وحقيقة الامر انها حية تسعى على ظهر الارض ...

فسألت الرجل مشدوهاً : ولم ذلك يا معلم ؟

فنكس الرجل رأسه ، يعبث بحاشية ثوبه ، وقال مستكين الصوت ، ذليل النبرات :

لقد هربت ... تخلت عن الرجل المريض الذي لم يعد صالحاً لها ... مع من كان هربها فيما تظن ؟ ... مع « عنقود » ... ربيبي ، ذلك الخليع الفاسد الذي لم استمع لنصحك حين رغبت الي في ان اطرده ، فابقيت عليه حناناً ومرحمة !

ــ هكذا الناس ابناء خيانة وغدر ... لا تأس على ما كان !

ــ لست بالآسي على نفسي ، وانما انا حزين من اجل ابنتي ، تلك التي اصبحت فاقدة امها ، وعما قليل تفقد اباها ايضاً ... فترى نفسها يتيمة الابوين ، ولا تجد حولها من ذوي القربى من يبذل

لها حنواً ورعاية ... ما مصير هذه الصبية من بعدي ؟ اني اليوم مريض ، وغداً راحل الى غير عود .

فشددت على يده اقول :

بل ستحيا سعيداً مع ابنتك ، فلا تستسلم للوساوس ، ولا يسرعن اليك القنوط ، واذكر الله ... انت بخير !

فهز رأسه متابعاً قوله ، وصوته بالنحيب مشوب :

لا تخدعني عن نفسي يا سيدي ... فصحتي تتدهور ، ويومي وشيك ... انصت الي ... ايقظني من نومي البارحة ظمأ ، فلم اشأ ان ازعج ابنتي من رقادها لتجلب لي الماء ، واستنجدت بقوتي ، وحاولت جهدي ، حتى استطعت ان اغادر فراشي ، وما كدت اتحامل على السير حتى تهاويت ، ودارت الارض بي ، فقرّ في نفسي اني قد استوفيت من الدنيا نصيبي المقسوم .

وطأطأ الرجل ، كابي الوجه ، مهدم الكيان ، واذا نحن نسمع جلبة بالباب ، ونرى « ست الكل » مقبلة تتواثب ، وفي يدها بقية من الحلوى .

وتدانت الصبية من ابيها تلقمه من حلوائها ، فضاء وجه الرجل والتفت ذراعه بخصرها في حنو واهتياج .

تتابعت بعد ذلك ايام شغلت فيها بشأني ، وحل يوم الجمعة ، فذكرت صاحبي ، وواعدت نفسي ان ازوره في الاصيل .

وبينا انا جالس ارتشف من قدح القهوة ، بعد ان اصبت فطوري ، وامامي رزمة الصحف اتناولها واعبر ما فيها على تعجل اذ بي اسمع نقرات خفافاً بالباب ، فقلت : من ؟

فاجابني صوت هين رفيق يقول : انا ... انا ... افتح .

فنهضت الى الباب ، فدخلت الصغيرة ساهمة واجمة ، تدعك اصابعها في قلق ، وعيناها تائهتان ، فامررت يدي على شعرها الاطفها واقول :

اهلا « ست الكل » ... ما بك ياصبية ؟

فتشبثت بذراعي مهمهمة تقول : انا خائفة ... انا خائفة ...

ـ مم تخافين ؟ وهل تخافين بالنهار ؟

فسمت بنظرها الي متوسلة ، وجذبتني مشيرة الى الباب تقول :

تعال معي الى المنزل ... تعال معي ...

ـ لماذا ؟ كيف حال ابيك ؟

ـ هو في البيت نائم ... تعال معي ... انا خائفة !

واشتدت في اجتذابي اليها لاخرج معها ، فلم اجد مندوحة من مطاوعتها ، والافكار في رأسي تتضارب .

وفي اثناء الطريق استرسلت « ست الكل » تروي قصتها ، قالت :

في الليل ، وانا في نومي ، علا صوت لا اعرفه ، ففزعت وانكمشت . ولما سكن الصوت جعلت انادي ابي من تحت غطائي ، فلم يستيقظ ، وما استطعت بعد ذلك ان انام ، فتسللت مغمضة عيني الى فراش ابي ، ونمت بجانبه متعلقة برقبته ، وما زلت نائمة حتى استيقظت في الصباح ، ولكن ابي ظل مستغرقاً في منامه ، فناديته ثم هززته ، ولكنه ابى ان يصحو ... فخفت ، فتركت البيت ، فجئتك ، لتمضي الى المنزل معي ، توقظ ابي ...

فذهب بي الظن في شأن الرجل كل مذهب ، ومضيت مع الصبية حتى دخلت على ابيها في حجرته ، فرأيته في فراشه شديد الامتقاع فجعلت اتفحصه ، وما لبثت ان نظرت الى « ست الكل » آخذاً بيدها الى الباب ، قائلا لها وقد اعطيتها بعض النقود :

اذهبي الى بائع الحلوى ، فاشتري منه ما يروقك ، وانتظريني هناك ، حتى اوقظ اباك ...

وتواثبت على الدرج هابطة .

وبعد وقت اتخذت فيه ما يقتضيه الموقف من اجراء ، قصدت الحارة القريبة اطلب « ست الكل » عند الحلواني ، فوجدتها في لمة من الاطفال تزهو عليهم بما تحمل من انواع الحلوى ، وهي تمنح بعضاً من اترابها وتعرض عن بعض ، فناديتها :

تعالي يا « ست الكل » ...

فاقبلت علي ، فهششت لها ، وامسكت بيدها اسير بها وانا اقول :

اتحبينني يا « ست الكل » ...

فاشرأبت تقول بملء فيها : جداً يا افندي جداً ...

ـ كما احبك ... ـ اكثر يا افندي .

ـ فلنذهب اذن الى داري ، ولتمكثي فيها معي ...

ـ وابي ! ـ سيرجع بعد قليل ... لقد سافر ...

فصاحت في دهشة : سافر ؟ هل استيقظ ؟

ـ استيقظ وسافر على عجل ، لامر مهم ، وانه لعائد اليك محملا باللعب والحلوى . ـ وهل يغيب ؟

ـ ايام قلائل ... ستمكثين معي ... الا تحبين ذلك ؟

فبدا عليها مظهر من التخاجل والاستحياء ، فبادرتها اقول :

اتفقنا ... قبليني اذن !

وانحنيت اليها ، فارسلت على خدي قبلة ساذجة ، وتركتني تسبقني بخطوات سراع ، فتبعتها بنظراتي وصدري تجيش فيه اشتات المشاعر ، وما لبثت ان اخرجت منديلي امسح به دمعة طافرة !

القاهرة — **محمود تيمور**

آثار العاطفة

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
مؤسس ومدير معهد علم النفس بالقاهرة

نجد اغلب الناس يحرم نفسه من اشياء كثيرة في الحياة بتأثير دوافع لا نتبينها في اول الامر . هناك اشخاص يتجهون اتجاهاً خاصاً في حياتهم ويمتنعون عن اعمال يقوم بها الجمهور من الناس ولو سألتهم عن السبب الذي يحملهم على سلوكهم المعين لقالوا انهم يرغبون في ذلك بارادتهم الخاصة . ولكن البحث على اساس تحليل نفسي يثبت ان الشخص موجه بعاطفة تجعله يشارك شخصاً آخر في اعماله او يشارك معه في عدم القيام باعمال معينة . وهنا يدخل أثر المشاركة الوجدانية وتظهر قوته في التأثير على السلوك .

يمكننا ان نذكر مثلا محسوساً لأثر العاطفة على الوظيفة الجسمية في حالة سيدة شكت في عدة سنوات من فقدان حساسيتها بالوظيفة الجنسية . واتجهت اول الامر الى الاطباء الجسميين تستشيرهم في سر سكوت الرغبة الجنسية عندها بالرغم من ان سنها كان يسمح لها بالتمتع الجنسي . وضايق موقفها الزوج الذي ظن بزوجته الظنون واتجه ذهنه الى الخيانة او الكره نحوه . وكادت هذه الحالة النفسية تنقلب الى حالة اجتماعية وتقضي على حياة اسرة كانت تعيش في سعادة ووئام . وزاد خوف الزوج من ان يكون السبب هو كره زوجته له عندما سمع كلام الاطباء ينكرون وجود اي سبب يمكنه ان يعوق الوظيفة الجنسية .

ولكن التحليل النفسي اثبت ان الحساسية الجنسية يمكنها ان تكون متصلة بمشكلة هامة كانت تشغل ذهن الزوجة بصفتها اماً لفتاة ادركت سن الزواج . وبما ان التعلق كان شديداً لكون الفتاة وحيدة ابويها فان الام كانت تسرف في تدليلها وتفضلها في كل شيء عن نفسها . واعترفت الام مراراً انها تحرم نفسها من اغلب الاشياء لتحقق راحة ابنتها . وتبين في آخر الامر ان عطف الام على ابنتها جعلها تشعر ان بنتها محرومة من اللذة الجنسية التي كانت الام تنفرد بها . وبما ان الام لم يكن في وسعها ان تحقق هذه اللذة لأعز الناس لديها وهي ابنتها فانها لاشعوريا حرمت نفسها منها لتتساوى معها. ويؤيد هذا التأويل ما لاحظناه في ايام الحرب العالمية الثانية من ان بعض الامهات اللاتي كان لهن اولاد في المعتقلات وعلمن انهم كانوا يجوعون ، كن يمتنعن عن تناول الطعام ولا يشعرن باي ميل للاكل رغم كل الحاح المعارف والاصدقاء .

وتعتبر هذه الحالة اعقد مشكلات علم النفس لاننا لا نستطيع ان نحدث اي تغيير في العاطفة ، كما اننا لا نستطيع ان نرغم الام على اتخاذ موقف طبيعي بالنسبة للوظائف الحيوية .

وهنا نتعرض لأصعب مشكلة في الحياة وهي الاضطرابات الشديدة التي يتعرض الانسان لها من جراء العاطفة. اننا نلاحظ كل يوم ان الانفصال بين شخصين يتحابان حباً قوياً يحدث آلاماً نفسية شديدة وقد تنقلب هذه الآلام الى اضطرابات جسمية تبدأ اولا في شكل اضطرابات هضمية لتتطور الى امراض مختلفة تصيب الاعضاء الضعيفة من الجسم .

وكل منا شاهد حالة ام فارقها ابنها بالموت او الابعاد، وشاهد الحركات العنيفة والاصوات الحزينة المعبرة عن عمق الآلام ، كما لو كان السبب جسمياً .

واغلب الاضطرابات العصبية تنشأ عن الصدمات التي تتعرض لها الامهات فيما يختص بعاطفتهن نحو اولادهن . وكذلك يحدث في كل ما يتعلق بالروابط العاطفية الشديدة ، وعند حالة الانفصال بالسفر او الموت .

ورغم صعوبة الآلام النفسية وما يتفرع عنها من آلام جسمية فاننا لم نول الاهتمام الكافي لهذه الحالات ، في حين ان سائر الآلام الجزئية العضوية وجدت المختصين لتخفيفها والقضاء عليها. فما هي النسبة بين آلام أم فقدت ابناً لها من آلام عضو من اعضاء الجسم ، فالشخص الذي يؤلمه ضرسه في امكانه ان يجد عشرات الاطباء لتخفيف آلامه . ولكن المصاب بصدمة في عاطفته يعاني آلاماً شديدة وحده دون ان يجد مساعداً الا من الاصدقاء الذين يسلكون حسب خبرتهم الخاصة دون ان يكون لهم المام بالموضوع وكثيراً ما يسيئون التصرف ويؤذون الشخص بدلا من ان يساعدوه. ولهذا السبب أرى انه من الواجب تحقيق مشروع هام هو انشاء غرفة مزودة باجهزة ايقاعية صوتية وبصرية وتوازنية لارجاع الشخص المصاب بصدمة نفسية الى حالته الطبيعية . وذلك لاننا نلاحظ ان كل انفعال وكل صدمة تحدث اضطراباً شديداً في الدورة الدموية فتظهر ذلك في اضطراب ضربات القلب والتنفس . ومن هنا يبدأ التأثير على الاعصاب والخلايا المخية التي تتحكم في كل اجزاء الجسم . وكما

يتذكر الشخص سبب الصدمة فان مفعولها يتجدد وتحدث الاضطرابات . وفي مثل هذه الحالات يكون الامتناع المنطقي غير مفيد ولا يترك أي أثر يذكر بل قد يحدث أثراً مناقضاً للغرض المطلوب .

وليس لنا الا اثر الاقناع الخارجي الذي يؤثر في الجهاز العصبي عن طريق الاحساس والادراك . وحاول الطب ان يصل الى التأثير على الجهاز العصبي بواسطة المواد الكيمائية التي تصيب في الدم او بالحقن المتصلة بالعصب مباشرة . ولكننا في كل هذه الحالات نبدأ بتاثير جزئي يتطلب وقتاً ليصل الى المراكز . وفي اثناء هذا الوقت وفي الطريق الى المراكز فانه يفقد قوته بتكيف الجسم السريع . ولهذا السبب حاولوا ان يستعملوا الشحنات الكهربائية للتاثير على المراكز مباشرة . ولكن الصدمات الكهربائية لخطورتها لا تعطى الا في الحالات الميئوس من علاجها النفسي ، فهي الوسيلة الأخيرة في الحالات المستعصية واما طريقة التاثير بالاقناع الخارجي فانها تحدث اثراً محسوساً في ايقاع التموجات المخية . وقد جاء بحث Jean Delay « التموجات المخية وعلم النفس » مؤيداً للطريقة التي اهتديت اليها صدفة منذ سنة ١٩٤٢ للتاثير في الاضطرابات النفسية . وقد كان استاذي الدكتور يوسف مراد مع تاييده لها ينظر الى الاسراف فيها بشيء من الحيطة والتحفظ وقد قال لي يوماً : ارى انك تستعمل الايقاع مفتاحاً يفتح كل الابواب . واثرت في هذه الكلمة واوقفت الكثير من المحاولات في علاج الصرع النفسي الذي فشلت في مقاومته كل المحاولات الفسيولوجية .

ولكن بحث « دولى » أيد وجود ايقاع في تموجات « ألفا » المخية واثبت ان هذه التموجات تظهر في اثناء الراحة والاسترخاء وانها تختفي عند وجود منبهات حسية وخصوصاً المنبهات البصرية وكذلك في حالات الانفعال وصرف النشاط . لهذا ارى انه من الممكن احداث تاثير في التموجات المخية بتعريض الشخص المصاب بصدمة عاطفية او غيرها الى ادراكات حسية ترجع الى الجهاز العصبي هدوءه . وقد لاحظنا ان الايقاع الذي ينزل تدريجياً قد يؤدي الى حالة النوم ولنا مثل واضح في أثر الايقاع على الطفل فان الام تستطيع ان تنوم ابنها بواسطة الايقاع اللمسي او الصوتي او التوازني بالمهد . بناء على هذه الملاحظات ارى انه في امكاننا ان نجمع في غرفة واحدة اجهزة تصدر انواعاً من الايقاع المتوافقة لاحداث تغير في الحالة العامة عند شخص تعرض لاضطرابات مختلفة في نواحي النشاط المتعددة . ويكون هذا التأثير سواء للوقاية اثناء الصدمة او للعلاج من آثاره بعد حدوث الاضطرابات وظهور انواعها .

وكل املي في الحياة ان اصل الى تحقيق هذه الرغبة التي ترمي الى تخفيف الآلام النفسية ووقف آثارها حتى لا تتعدى الناحية الجسمية وتولد الامراض المعقدة مثل الصرع وغيره من الامراض العصبية والعقلية . وأرجو إن لم أوفق ان تجد هذه الفكرة من يحاول تحقيقها ولو بعد عشرات السنين .

وغايتي من هذا البحث ان يتذكر الاطباء والمهتمون بالشئون الانسانية ان السعادة البشرية متوقفة على التوازن بين الناحية النفسية والناحية الجسمية وقد رمزت للوظائف النفسية بالعاطفة واطلقت على الميول الجسمية كلمة الغريزة بقطع النظر عن الموقف العلمي الحديث من الغريزة كحقيقة او كوهم .

تمثل العاطفة الاتجاهات التي تحاول ان تربط الشخص بالمجتمع لتضمن سلامة الجسم وتحقق لذات العقل . ومهما حاولنا ان نحدد الكلمات وان نجد فوارق واضحة فاننا نشاهد انفسنا ندور في دائرة مقفلة ، وذلك لان الانسان وحدة في حياته الطبيعية . فيجب ان نضمن التكامل الجسمي ووحدة الجهاز العصبي لنضمن انسجاماً في الوظائف فتكون الميول النفسية تكملة للوظائف الجسمية ومحققة للتكيف الاجتماعي .

والغاية البعيدة التي يجب ان نرمي اليها هي ان نحيط الكائن بالعناية الكافية لتضمن وحدته التي تمكنه من توليد طاقة النشاط النفسي في صورة انتباه هو اساس كل تفكير كما انه اساس الفعل الارادي . ونعتبر انفسنا فشلنا في دراساتنا النفسية ان لم نصل الى تحقيق هذه الغاية البعيدة التي تحقق استقلال الفرد وقدرته على الابتكار والتغلب على مشكلات الحياة ومصاعب الطبيعة .

وآمل ان اكون عرضت اهم المشكلات التي تنتج عن توزع النشاط الانساني لنعلم ان هذه المشكلات راجعة لاسباب معروفة وانه في امكاننا ان نتفاداها بتفادي اسبابها او نحاول ان نقضي على آثارها في الجسم لنقوي الوظائف النفسية عامة، والانتباه خاصة

واعتقد أنه آن لعلم النفس ان يقتحم الموضوعات التطبيقية بعد ما قضى مدة كافية في ميدان البحث المجرد ، ورجاؤنا ان نوالي تلخيص الاتجاهات العلمية على ضوء الملاحظات المباشرة والمحاولات التطبيقية سواء كان ذلك في ميدان التوجيه في الحياة او العلاج النفسي .

القاهرة — أبو مدين الشافعي

للدكتور بديع حقي — دمشق - سوريا



نحت

تعب الازميل وانهدّ الحجرْ — أي ازميل تراءى واستتر
وذوى المرمر واعتلّتْ صور — ينحت الحلمَ ويغتال القدر
وشكت من غُلمة الطين الفكَر — ينقر الخصر فتبدو في الأثر
فعلى صلصاله رفّتْ ذِكَر — خفقة المنقار في طيب الثمر

وارتمى الوجد على جرحٍ نَغَر — طيفه في رعشة الصلصال مر
علّق اللهفة بالوهم الخطير — يسفح القبلة من لمع الشرر
فاذا الدميةُ هيمى بالقمر — وينادي شفةً لا تستقر
تسكب الظلّ وتومي للدرر — شفة جاذبها حلو السَّمَر

***

قلّكَ النهدُ أبياً وانحسر — فاذا ما هاجَ في الثغر الوطر
يفغمُ الجوّ بأعراف الزّهر — نأمتْ خداً وهمّتْ تنتظر
وهوى الازميل سمحاً وانحدر — وطوتْ خلجتها كل الفكَر
سلسل الساقَ، طروباً، ثم فر — واذا ما جازها بوحُ عطِر
فغفوى في ظله المفتاح سر — بكى التمثال وانهدّ الحجر

شاعرة العاطفة الملتهبة

بقلم السيدة سعاد ابو شقرا

ليست الحياة المترفة التي عرفتها شاعرة العاطفة الملتهبة ، بالحياة التي تغبط عليها امرأة دقيقة الحسن مرهفة الشعور ، اغدقت عليها الطبيعة منح الانوثة فكانت آية في الجمال وآية في الفطنة .

ولا اظن ان هذا اللون العنيف الذي طبعت به حياة هذه الشاعرة ، كان يكتب له ان يوجه حياتها هذه الوجهة ، لو اتيح للشاعرة ان تنشأ في غير البيئة التي نشأت فيها .

ان القلب الذي نعنى بدراسته اليوم ، هو قلب واع محموم النبضات ، تتدفق من حناياه الحياة ، وتنبثق من اعماقه امواج الاحاسيس المرهفة وتيارات العاطفة المضطرمة .

وهذه النفس التي شغلت الخلفاء زمناً والامراء والشعراء حيناً من الدهر ، لم تكن لتنطلق في الجو الذي انطلقت فيه ، لو انها سكنت جسداً غير الجسد الذي سكنته. اما وقد كتب لها ان تكون في جسد امرأة غير محصنة ، تنقلت بين ايدي المتجرين بها حتى وصلت الى قصور الخلفاء ، فقد اتيح لها ان تتحرر من الجهل كما كتب عليها ان تتحمل القيود وتستسلم لمشيئة من يقتنيها حيناً ليبيعها بعد ذلك .

ان العصر الذي عاشت فيه شاعرتنا المجيدة ، كان عصراً ذهبياً للادب العربي سجل فيه تاريخ ادبنا اوفر نتاج شعري لهذا الفكر وقد تكون التطورات الخطيرة التي عرفتها المعيشة العربية ، هي الدافع الاول الذي حرك الافكار ونبه الاحاسيس هذا التنبيه ، فسيرها في طرقات جديدة وفتح امامها آفاقاً بعيدة في دنيا المعرفة والاطلاع .

لكن ازدهار الحضارة العربية واتساع ارجاء الامبراطورية الاسلامية في ذلك العصر ، كانا وبالا على المرأة ، فبدلا من ان تفيد من انتشار الدعوة التوحيدية ومن رسوخ التعاليم الجديدة التي ايقظت الصحراء من سبات عميق ، راحت تدفع ثمن هذه العزة القعساء التي عرفها العرب فكتبوا تاريخها باحرف من نور .

اجل راحت تدفع الثمن من حريتها وكرامتها . وصرخت وتألمت حين تظاهر القوم بالصمم ، وسكتت بعد حين مقتنعة بانها انما خلقت لتحمل القيود . وهي في الدور الكبيرة محصنة تعيش في شبه زنزانة يقال لها جناح الحريم. وفي غير تلك الامكنة، مخلوق يتهافت القوم على شرائه وبيعه في سوق النخاسة ويقتنى في الدور او القصور للافادة من جمال شكله او رخامة صوته او حلو حديثه ليباع اذا اقتضت المصلحة بيعه او رؤي انه سلعة مرغوب فيها تعود على مقتنيها بالارباح الكثيرة .

والعجيب ان هذا الامتحان الذي نكبت به المرأة في ذلك الزمن لم يؤثر كثيراً على ميولها الادبية ونزعاتها الفنية ، فالظاهر انها في اعماق نفسيتها ، لم تكن تتألم ذلك الالم الانساني الذي يطفىء فيها جذوة الحياة الفكرية . بل لقد الفت العبودية على مر الزمن واحبت هذا اللون من الحياة حتى باتت للجواري دولة ومكانة في قلب الدولة العباسية ، وبتن يمثلن المرأة العربية في عالم الفن ودنيا الادب . ولولاهن لما كان للمرأة في عالم الانتاج الادبي الا طيف هزيل لا يكاد يرى بين نتاج الشعراء المجيدين.

وفي هذا الجو المثقل بالعبودية، بيعت في مدينة البصرة مولدة اسمها فضل. وكان ذلك النهار الذي بيعت فيه ، قد هيأ لها في تلك الساعة مصيراً خطيراً لم تكن لها في نسجه يدان .

اذا ذكرت فضل في الادب العربي ، ذكر معها البيان البليغ والشعر الغني بمعانيه الحلوة والفاظه المستحبة ، وارتسمت في الذهن حالا صورة جميلة لامرأة ممشوقة القد بديعة القوام في وجهها وقار الملوك وفي عينيها فتنة وربات السحر .

واذا ما اخرجنا الخيال عن حاضرنا هذا ، وانتقل بنا الى ازمنة عريقة في القدم ، ارانا فضل صبية كاعباً ، تحيط بها هالة من الفتنة والدلال ، وهي واقفة في حضرة سلطان عريض الجاه، هو المتوكل يغرق نظراته في نظراتها ويصيخ اليها باعجاب وهي تقول له :

استقبل الملك امام الهدى عام ثلاث وثلاثينا
خلافة افضت الى جعفر وهو ابن سبع بعد عشرينا
انا لنرجو يا امام الهدى ان تملك الناس ثمانينا
لا قدس الله امرءاً لم يقل عندي دعائي لك آمينا.

ويستحسن المتوكل هذه الابيات ، فيأمر لفضل بخمسة الاف درهم كما يأمر عريب المغنية المبدعة ان تغني فيها .

كانت فضل شاعرة كبيرة بين شاعرات عصرها وشعرائه .

ولئن نشأت في اول امرها جارية مستذلة ، فقد استطاعت فيما بعد

ان تصل الى مكانة جعلت لها في قلب الخليفة واعوانه امراً مطاعاً وكلمة مسموعة .

بيعت مرتين في البصرة وكان سيدها الذي اشتراها في المرة الثانية رجلا يقال له محمد بن الفرج الزحجي . واحبها هذا السيد فاعتنى بتربيتها وتهذيبها معلقاً على الاتجار بها آمالا كبيرة وارباحاً كثيرة . غير انه لما رآها قد اكتملت ثقافتها وتفتحت براعم انوثتها عن ملامح فاتنة وجاذبية اخاذة يزيدها الذكاء سحراً وتضفي عليها الفصاحة وسرعة البديهة ضياء ساطعاً ، قرر ان يقدمها هدية ثمينة لخليفته الجديد طالباً بذلك عطفه مستديماً رضاه .

وهكذا يكتب القدر لهذه المرأة التي بيعت في سوق النخاسة مرتين فذاقت ذل الرق وجور العبودية ، ان تصبح في تاريخ الشعر النسوي علماً من اعلام البيان ولساناً عذب الالفاظ ذلق التعابير عاش ليكون ترجمان قلب ملأ الحب جنباته ففاض عاطفة ملتهبة وهوى مستعراً .

واشتهر اسم فضل في العراق ولمعت صورتها في قصور الخليفة فعرفت عندئذ بجمال الصورة وجمال الخط وفصاحة اللسان وثبات المحاورة حتى اتهم سعيد بن حميد ، وهو الكاتب المجيد الذي كان يتقرب من فضل ويهواها ، بانه هو الذي كان يكتب رقاعها . وعندما سأله ابراهيم بن المهدي عن حقيقة ذلك اجاب وهو يضحك : «ما اخيب ظنك ! ليتها تسلم مني لا آخذ كلامها ورسائلها والله يا اخي لو اخذ افاضل الكتاب واماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك » .

ولقد كانت بشهادة ابن المعتز مقصد الشعراء والكتاب يجتمعون عندها فيتناقشون الآراء ويتناشدون الاشعار ويتساجل الكل امور الفكر والسياسة وهي بين الادباء والشعراء سيدة محترمة الكلمة عالية الصوت . واقف هنا قليلا متأثرة بخاطرة عابرة لاقول : ان جارية عربية لا تملك من امر نفسها شيئاً وليس لها في نفسها شيء من الحق ، استطاعت ان تجعل من منزلها « صالوناً » ادبياً في القرن الثالث للهجرة يوم كانت النساء العربيات خاملات الذكر باهتات الظل . ثم لما استيقظت المرأة العربية بعد غفوة طويلة ، اختفت هذه « الصالونات » لتنتقل مغربة الى اوروبة ، فيعد الاوروبيون ظهورها في فرنسا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فتحاً ادبياً عظيماً للمرأة ، الهب حماس الادباء واذكى عبقرية المفكرين ، فبرزت المرأة الغربية عندئذ ، ولا سيا في فرنسا ، اديبة موحية لا اديبة مفكرة منتجة .

كانت فضل ذات قريحة خصبة وخيال وثاب . وطبيعي جداً ان يكون نوع الحياة الذي عرفته قد جعل منها امرأة مستخفة بالطقوس الدينية والقواعد الاخلاقية . هي شاعرة عاشت لقلبها وتمتعت بعطف الخليفة الذي اولع بها فاغدق عليها العطاء والهدايا الثمينة وعرضها في قصوره مفتخراً بها كما تعرض التحف النفيسة واللوحات الجميلة ، غير انها كانت لوحة ابدع في رسمها الفنان الاعلى فملأها حياة واشعاعاً حتى استطاعت ان تجذب اليها القلوب وتأسر بنظراتها وخطراتها عيون المتقربين وطالبي الود والصفاء .

نظمت فضل الشعر في كثير من الاغراض ، ولم تصرفها حياة البذخ عن الانشغال بالادب لانها شاعرة مطبوعة واديبة غير هيابة . كانت كثيرة الانتاج لانها كانت دوماً على صلة بكبار الادباء ورجالات العصر . فامتدحت الملوك والامراء بقصائد طويلة ، وهجت من تعرض لها او لاهل مذهبها ، اذ كانت تتشيع وتتعصب لقومها بكل جرأة وايمان . وقد استطاعت ان تكون معواناً لافراد قومها تقضي حاجاتهم عند الملوك والاشراف بجاهها ومكانتها في نفوس الكبار من الرجالات في ذلك الزمن.

تأثر انتاج فضل كل التأثر باللون الصاخب من الحياة التي عرفتها ولئن نظمت اشعارها الجزلة في كل الاغراض المعروفة في الشعر العربي آنذاك ، فاننا نستطيع ان نقول بان الغزل كان ابرز هذه الاغراض في شعر امرأة احيطت بالمعجبين من كل صوب.

لم تكن فضل قديسة حتى تسمو فتتغلب على نزعات النفس. ولم تكن كصخرة المتنبي لا تحركها الاغاني والاغاريد والنظرات

المستعرة التي يصوبها اليها المعجبون من كل جانب ، بل كانت انسانة تحس الجمال وتعيش له ، وفي جنبيها قلب اذا خفق ترجم له اللسان الفصيح كل خفقة ببيت شعر بديع الالفاظ موسيقي الوزن

وحياة فضل ذات فصول طويلة وعناوين بارزة . فهي حيناً جارية مطيعة سلسلة القياد، وطوراً امرأة والهة تؤرقها الذكريات وتذكي عاطفتها المشبوبة صورة الحبيب الغائب ، وتارة محبة مستعطفة تعتذر عن هفوات صدرت عنها وتطلب من الحبيب الغفران . وقلبها موزع بين هذا وذاك من المحبين والمعجبين لأنها على حد قولها مضطرة الى هذه المسايرة ومدفوعة بحكم مكانتها ومركزها الى التلطف مع الجميع .

اما ابرز ممتلكي فؤادها، فهو الاديب الكبير الكاتب سعيد بن حميد. لقد اخذ بعلم فضل واسره جمالها فاحبها حباً عنيفاً وبادلته هي الحب. لكنها كانت في حيرة من أمرها لان المتقربين وخاطبي ودها كثيرون. فتعرضت من اجل ذلك مراراً لغضب سعيد وحمى غيرته غير انها كانت اذا ما اضطر سعيد الى غياب تثور مخاوفها وتستيقظ عاطفتها ، فتستبد بها نار لافحة من الغيرة الشديدة. ولما عزم سعيد على سفر بعيد قالت :

كذبتني الود ان صالحت مرتحلا — كف الفراق بكف الصبر والجلد
لا تذكرن الهوى والشوق لو لجمت — بالشوق نفسك لم تصبر على البعد

وتعود فضل لتغرق في جو من المرح يحييه للخليفة ندمائه ووزراؤه، فتبدو شاعرتنا عندئذ بصورة المرأة التي تؤخذ بجمال الواقع فتكتم ما في قلبها ، وتسيطر على شعورها ، وتندفع وراء الكاس ناشدة لذة النشوة للتغلب على ما بها من ثورة ألم. ثم تعترف ان كبرياءها هو الذي يمنعها من الشكوى. وهي لا تشكو لمن تهوى امرها لان ذلك في نظرها مضعف للحب او هو اليأس بعينه، فتقول:

لأكتمن الذي بالقلب من حرق — حتى اموت ولم يعلم به الناس
ولا يقال شكا من كان يعشقه — ان الشكاة لمن تهوى هي الياس
ولا ابوح بشيء كنت اكتمه — عند الجلوس اذا ما دارت الكاس

والظاهر انها كانت تشعر نحو سعيد بعاطفة قوية جعلت من سعيد اوفر المحبين حظاً من حبها. الا انها كما ذكرنا تضطر الى مقابلة كل عاطفة بمثلها عندما كان الواهون يرفعون اليها اشعارهم. وقد كتب اليها احد الشعراء مرة يتشوق اليها ويبلغها هواه فاجابته بقولها :

نعم والهي انني بك صبة — فهل انت يا من لا عدمت مثيب
لمن انت منه في الفؤاد مصور — وفي العين نصب العين حين تغيب
فثق بوداد انت مظهر مثله — على ان بي سقما وانت طبيب

وابياتها الغزلية التي اجابت بها من راسلها شعراً من الادباء المتقربين اليها كثيرة. ولا ادري ما اذا كانت فضل صادقة في اجوبتها العاطفية ام انها كانت تكتب ذلك مدفوعة بحاجة ادبية الى نظم الاشعار الجميلة التي اودعتها كل معاني الرقة وكل صور العاطفة الملتهبة

أن الاشخاص الذين نظمت فضل فيهم شعرها عديدون. وهذا ما جعل للذين عابوا سيرتها حجة في قولهم وسلاحاً في مهاجمتهم لها. لكنني اعتقد غير مدافعة عنها انها كانت بذلك تنظم الشعر حباً بالنظم وتسرية لها عن الخاطر. وان تكن قد نقلت عاطفتها فزرعت حبها في بساتين عديدة، فان حبها لسعيد بن حميد لم يضعفه تغزلها بالخليفة او بغيره من العظماء . ويبدو لنا ذلك واضحاً في الابيات التي بعثت بها الى سعيد مرة على اثر عتاب وجهه اليها لانها كانت تحدق النظر في بنان المغني المشهور فاثار ذلك غيرة سعيد والهب غضبه ، فاعتذرت اليه تقول :

يا من اطلت تفرسي في وجهه وتنفسي
افديك من متدلل يزهى بقتل الانفس
هبني اسأت وما اسأت بلى اقر انا المسي
احلفتني الا اسارق نظرة في مجلسي
فنظرت نظرة مخطيء اتبعتها بتفرس
ونسيت اني قد حلفت فما عقوبة من نسي؟

فما كان من سعيد الا اتى بعد ذلك وقبل رأسها وقال: « لا عقوبة عليه بل نحتمل هفوته و نتجافى عن اساءته »

غير انها لم تكن لتستطيع ان تثبت طويلا امام اغراء بنان وكأنها بعد ان انست من سعيد تسامحاً ومقدرة على العفو زهدت في حبه واندفعت نحو بنان بن عمرو المغني المشهور، فكان ذلك سبباً لجرح بليغ في قلب سعيد الذي اخلص لها الحب فلم تف هي بعهدها له. وقديماً كان الالم سبباً في الانتاج الجميل. فبعث اليها سعيد بالقصيدة المشهورة التي يقول فيها :

تنامين عن ليلي واسهره وحدي .

وكان جوابها متضمناً مذهبها في سياسة الحب التي اتخذتها ذريعة لهفواتها فقالت لسعيد :

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى — لاقصرت عن أشياء بالهزل والجد
ولكنني ابدي لهذا مودتي — وذاك لاخلو فيك بالبث والوجد
مخافة ان يغري بنا قول كاشح — عدو فيسعى بالوصال الى الصد

هذا اعتذار اقتضته سياستها الخاصة. لكن الثابت انها انصرفت عن سعيد نهائياً لانها كانت قد ملت حبه، وهي عانية تحب تبديل العاطفة وتجديد الوجوه !

والغريب بعد ذلك ان نرى فضل تغار على سعيد بعد ان

أخـوة حنـاجر

نطلق على « الاخوان » الذين لا « إخاء » بينهم سوى اخـوة الكلام ... لقب « إخوة حنيكر » ـ والصواب ـ « اخوة حناجر » بجيم مصرية، ثم حرفت الكلمة. وفي هذه القصة تعريف لهذه الروح ودراسة لأصحابها [المؤلف]

بقلم رشاد دارغوث

قصة

جاء الى هذه البلاد ، موفداً من احدي الجامعـات ، كي يدرس علم النفس ، في بعض معاهد العلم العالية، وكان يحمل ، مع رسالته التثقيفية ، روح المحبة لاهـل بلادي . فقد سبق له ان عرف ماضيهم المجيد ، وقدر خدماتهم للحضـارة . فتوثقت بيني وبينه اواصر صـداقة ، كانت نادراً ما تقوم بين المواطنين وابناء المستعمرين ، لسبب بسيط هو طغيان مركب النقص عند أولئك ، ومركب الـكبر عند هؤلاء . والمركبان يقومان دائماً حائلا بين القلوب . والنفوس لا تتصافى عادة الا على اساس من الحرية والشعور بالمساواة والتكافؤ .

فقلت لاستاذي ، وصديقي ذات يوم : ـ ما الذي راعك في بلادي يا سيد اندريا ؟

فاجاب ، وبسمة صدق الطوية تلازم وجهه الازهر وعينيه الزرقاوين :

ـ راعتني طبيعة بلادكم الجذابة ! انها اشبه ما تكون بطبيعة موطني ، عنيت مسقط رأسي في ... اوربا ! ولـكن روح الاخاء الذي يسود بين الافـراد عندكم هو الذي راعني اكثر ، واثار اهتمامي البالغ .

فقلت للاستاذ بدوري : ـ « وما هي مظاهر الاخاء التي تلمستهـا ؟ »

فقال : « كل منكم ينادي الآخر بقوله : يا اخي ! اليس هذا وحده كافياً للدلالة على الروح البديعة السائدة بينكم ، والمنظمة علاقاتـكم ! ان الاخوة خلاصة الامومة والابوة مجتمعين ! انني كأوربي ، خارج من الحرب .. اغبطكم على هذه الروح، واتمنى ان تسود العالم ! وبلادي قبل اي بلد آخر !

كان هذا الحوار بيننا قبل ان يحتك الاستاذ اندريا قوزماطي باوساطنا ، وقبل ان يختلط بمواطنيه الذين سبقوه الى الاقامة بين ظهرانينا. وما هي الا اسابيع حتى تغيرت نظرته الى الناس عندنا ، والي بالطبع . وانا في الواقع لم اكن عنده سوى واحد من اهل هذه البلاد . اعجبه فيّ بشاشة ساذجة كانت تلازمني ، قبل انغماسي في معترك الحياة، وكرم هو من تقاليد وطني واهله، وصراحة في القول والعمل اكسبتني مودته، قبل ان اكتسب ثقته ، كما اكسبتني عداوة الـكثيرين . وقد اجتمعنا ذات يوم حول مائدة غداء دعاني استاذي اليهـا ، في مطعم « سوليبه »

بلغها انه علق بحب جارية فتهجوه بابيات شديدة تضمنها الوعظ فتقول:

يا عالي السن سيء الادب   سبت وأنت الغلام في الطرب
ويحك ان القيـان كالشرك   المنصوب بين الغرور والعطب
لا يتصدين للفقير ولا   يطلبن الا معادن الذهب
تلحظ هذا وذا وذاك وذا   لحظ محب بطرف مكتسب

هذه صورة لحياة صاخبة تغلبت فيها غرائز الانثى التي تاهت في عالم البذخ والعاطفة على عاطفة الانثى التي تسمو بها فوق نزعات الغريزة ومتطلبات النفس . وان تكن فضل قد انجرفت في تيار المجون الذي سيطر على العقلية العربية في ذلك الزمن ، فانها لن تحمل جريرة ذلك بمفردها ، بل يقاسمهـا المسؤولية في ذلك نفر من الاقوياء الذين تنكروا للعقيدة التوحيدية واستخفوا بالقيم الانسانية وبالاخلاق العالية، فانقادوا هذا الانقياد لاهوائهم

لقد عاشت فضل لقلبها ومشاعرها فاروت نفسها بكل ما تصبو اليه عين غانية تنظر الى الحياة بنهم. وماتت في بغداد سنة ٢٦٠ للهجرة بعد ان تركت اثراً شعرياً كبيراً.

سعاد ابو شقرا

ـ عند شاطىء البحر ـ وكان المطعم الاوروبي الوحيد في بيروت، وقال لي: « اريد ان تكوّن فكرة عن الوقعة الاوروبية ..» فقبلت دعوته على هذا الاساس. وفي فترة انتظار لا بد منها ومن تكرارها بين صحن وصحن، في المطاعم الاوروبية، وخاصة هذا المطعم الذي كان يزدحم بالاجانب وبالمواطنين، كل يوم، ازدحاماً شديداً، قال لي مضيفي: « عجيب امر اخوتكم هنا! فهذا ابو سعيد هل تعرفه؟ جار الكلية في الحي الغربي! لقد طعن اليوم جاره بالسكين، لانه اختلف معه على سعر لجلة! بعد ان كان يناديه، قبل ذلك بلحظات باجمل الالقاب!»

ويبتسم العالم النفسي حتى تنكشف جميع اسنانه التي دبغها النيكوتين بصفرة خاصة، وتبدو لي شفتاه الرقيقتان، كأنهما صورة مجسمة للسخرية، والتهكم البالغين.

وما كان ينبغي لي ان اسكت على هذه التهمة، لولا انني كنت ضيف صديقي، ولولا ان الجدل حول المائدة مفسد، اي مفسد.

وكانت بجوارنا القريب فتاة من موطن الاستاذ اندريا، رأيته يبادلها نظرات لم يخف علي معناها. ثم تطور هذا الغزل البريء، فسمعته يخاطبها هامساً، وانا اطلب من غلام المطعم بعض متممات المائدة، فيقول لها:

ـ « مالك سابحة في.. الخيال؟»

فتجيبه الفتاة وهي تذوب رقة، بغنج مشهور عن بنات وطنها: وهل تخشى علي ان اغرق؟.

فيقول الاستاذ اندريا: «اذا غرقت.. انقذتك وتركت امك!»

ويضحك الاستاذ كما تضحك الفتاة بصوت مرتفع. ويلتفت لرجل الي، فيعتذر قائلاً: « عفواً .. تركتك مشغولا بواجبات ربة منزل ..!»

ثم روى لي النكتة التي اضحكته مع مواطنته، فقال متابعاً شرح فكرته:

« نحن على الاقل، لا نقول بالاخوة، ثم يطعن احدنا الاخر! نحن ذئاب! ونعلن اننا كذلك، وساروي لك النكتة التي اضحكت جارتي هذه، امس واليوم! لقد كان شاب يسبح مع فتاة وامها .. واذا بالفتاة تسأله بقولها: « لو اشرفت مع امي على الغرق الان فماذا انت صانع؟» اتدري ما كان جواب الشاب صاحب الفتاة؟ لو سألت فتاة من هنا صديقها السؤال نفسه لاجاب: افديك بالدنيا انت وامك يا شقيقة روحي.. وسوى ذلك من كلماتكم المعسولة. ولكنه عند الحاجة، لا يضحي بخمسة قروش في سبيل اسعاد فتاته!

اما فتاتنا، فقد اجاب صديقته، اتدري ماذا قال لها؟. اذا اشرفت مع امك على الغرق، كان ذلك مناسبة فذة. فانني حينئذ انقذك انت، وحدك واترك امك ... تغطس! فانا لست بحاجة الى حماة!»

استمرت صحبتي لهذا الاستاذ، فترة طويلة بعد انقضاء عهد الدراسة. وقليلون هم الاساتذة الذين ينقلبون اصدقاء لتلامذتهم. فكنت كلما عاد من اجازته، بعد العطلة الصيفية الكبرى، استقبله على ظهر الباخرة، وادعوه الى غداء او عشاء، لا يحضره احد سوانا. فقد كان هو حريصاً على ان نجتمع على انفراد. في احد مطاعم البلد الممتازة، التي تكاثرت، وان لم تتدن اسعارها الباهظة.

وفي العام ١٩٣٢ كنا في مطعم لوكوللس، نتناول غداءنا، بعد فراق استمر ثلاث سنوات لم نلتق في اثنائها. فقال لي الاستاذ اندريا: «لم تسألني عما شعرت به يوم اتهموك في الكلية.. باخفاء سجل العلامات السنوي، وعلامات الامتحان الختامي!»

فضحكت، لانني كنت ما برحت واثقاً من براءتي من تلك التهمة البشعة، وان كنت لم استطع اثبات تلك البراءة، كما لم تستطع الادارة اداني، لعدم توفر الادلة لديها. وتابع صديقي حديثه يقول:

ـ « لقد مضى على ذلك الحادث المؤلم .. سنوات. ولكنني ما برحت اذكره، واحلل العوامل النفسية، التي حملت رفاقك على اقتراف تلك الجريمة. لقد كان السجل على مكتبي، وجئت انت فراجعتني بشأن بعض العلامات، واخبرتك انك كنت الاول .. وما مضت لحظات، غادرت في اثنائها الغرفة، لوقت قصير، حتى فقد السجل، ولم يعثر له على أثر فيما بعد!»

حينئذ سألت بدوري : « وهـل اتهمتني حقاً في ذلك الحين باقتراف هذا العمل الخسيس ؟ »

فاجاب مشككاً :

ـ « لم اتهمك ولم ابرئك ! ولكن .. فاتني يومـذاك ان افتش بيوت بعض .. رفاقك ! وفي الواقع ورد الي كتاب من احدهم ، منذ مـدة ، وانا في اوربا .. ولن اذكر لك اسمه .. يقول فيه بان « فلانا » هو الذي « سرق » الدفتر ، وليس « علانا » وبان ذلك الدفتر قد مزق في النهار نفسه ، واستعمل في .. بعض الحاجات البيتية ! »

ويسكت الاستاذ اندريا ، بعض الوقت، ليزدرد بقية طعامه، ثم يقول: « منذ ذلك الحين، شعرت ان روح الحسد الذي يسيطر على كثير من الافراد عندكم ، هو العامل الاساسي ، في تنغيص حياتكم وافساد مجتمعكم ! وهي روح بدوية لا تليق بشعب عريق ، وامة متطورة ! وروح خبيثة تفسد الاخوة ، وتبطل ما لها من « طاقة » خلاقة .. في الافراد والجماعات ».

وقلت لصاحبي ، وانا احاول كتمان انفعالي ، لمجرد ذكره هذا الحادث الذي لم يخفف تقادم العهد من نقمتي على مسببيه :

ـ « لقد وجدت نصف العلة ياصديقي العالم النفساني ! والنصف الآخر كامن في نزعتنا الى الاكتفاء بايسر جهد .. هل تذكر ملاحظتك على كلمة «اخي» منذ سنوات ، ووفرة استعمالها، دون ان يكون وراء ذلك عند قائليها ايمان بالاخوة ، وما تتطلبه من تضامن وتضحيات؟ان ذلك مَثَل على ما نشكوه في هذه الناحية!

فالاخوة تضحية كالامومة والابوة ، ولكنهـا في مصطلح الناس كلمة .. كسائر الكلمات ».

حينما انتهينا من الطعام ، قال صاحبي ، وكانه اراد الخروج بنا من صعيد الجد الى رحاب الهزل ، كي يخفف مـن ضغط الاعصاب على الجهاز الهاضم : « صحتين ! »

فضحكنا كلانا ، وسررت لتعلمه كثيراً من الكلمات بلغتنا ، ثم تمنيت عليه ان يتعلم حقاً هذه اللغة الجميلة . فقال لي :

ـ « وما الفائدة لي من تعلمها ؟ كل من القاه عندكم يخاطبني بلغتي او بلغة اجنبية اخرى افهمها ، فلا اجد حاجة الى تعلم لغتكم ، ولا احس باعثا يحملني على بذل الجهد اللازم لتعلمها . ومع ذلك فقد صرت اعرف الكلمات التي اخاطب بهـا الحمال والبقال وماسح الاحذية واعرف كثيراً من التعابير الشائعة : «انشاء الله» بعد كل كلام و« نعيماً» بعد الحمام، و«سلامتك» للمريض ، « ويرحمكم الله » لمن يعطس ، و« على الله » لمن يستعطي .. الا ترى ان ذلك كاف لرجل مثلي ؟ »

ثم ضحك الاستاذ اندريا، وحاول حملي على مجاراته في ضحكته الساخرة . ولكنني سكت ، واذا به يتابع جاداً بقوله :

ـ « هذه التعابير ، لو كان قائلوها لا يكتفون بترددها دون ايمان بمعناها ، ودون عمل بمقتضاها ، لكانت من اجمل مظاهر الاخوة ، وما يستتبعها من تضامن وتعاون وتكتل واتحاد بين الافراد ، وبين الشعوب ! ولكنكم تقولونها... وحسب. والقول لا يغني عن العمل ! »

ثم بعد لحظة صمت،استأذن صديقي بالانصراف،وهو يشكر لي دعوتي ، ويستنجزني وعدي القـديم بزيارته ، في دمشق ، حيث صار من كبار رجال الاعمال بعد انتهاء مدة تعاقده في لبنان . فاقول له ، وانا اضحك لضحكته: ـ « ان شاء الله ! »

فيقول جاداً وهو يشد على يدي : ـ « يشاء الله متى شئت انت، واعتزمت ان تقوم بما اردت! الستم تقولون: اسع يا عبدي كي اسعى معك ؟ وانما « نعم »اخوك ويسلم ابنك اذا تعاونت معهما على توفير اسباب النعيم وشروط السلامة ، لا بمجرد قولك لهذا « نعيما » يا اخي ! او لذاك « سلامتك » يا حبيبي ! »

وتفارقنا منذ ذلك اليوم ، دون ان تتيح لنـا الظروف اجتماعاً جديداً . ولكن كلمات هذا العالم « الغريب » لم تبرح ترن في اذني ، كلما تحرك عندنا لسان بكلام لا يعقبه عمل،او كلما عمل العاملون ، ولكن دون ان يصدروا عن ايمان بما يعملون له . واقول لنفسي :

ـ حقاً ما اكثر الاخوان عندنا ...ولكن اخوتهم لا تعيش في غير الحروف الميتة،والالفاظ الصائتة لانهم«اخوة حناجر».

رشاد دارغوث

الغـل

كانت تقول له دائما ، ان الحب عبودية وانعتاق
معا ، فلا يصدق ، حتى وضعت الكأس في
يديه ، والغل في قدميه

☆

الغلُّ والكأس التي في يدي — يا هذه ، نهايةُ المشهدِ
صرعتْ أعوامي حتى اذا — أفلتُ من أمسي، تهاوى غدي
لم أعرف البدءَ ولا المنتهى — ولم أزل اسعى ولا أهتدي
أدور كالثور على نفسه — حيث انتهى أمسيَ بي أبتدي

***

قد كان للأمس على ناظري — من قبل ما شئت وما شاءوا
ودارت الأرضُ ولمّا تزلْ — في النفسِ آمالٌ وأهواء
فلم يعدْ منا سوى ظلّنا — يمتصه الطينُ الذي قاءوا
كأننا لم نك من أمسنا — شيئاً ، ولا ثمة أشياء

***

واكتهل الماضي ولم تبق الاّ — قصةٌ تحكى وألحانُ
وضجةٌ بناظري للرؤى — اصداؤها في القلب نيران
ونظرةٌ ضائعة شدّها — للافق ، للمجهول إذعان
الارضُ لم تبقَ كما عشتها — يديرها رقّ الالى كانوا
كأنها ، والصمت يمتصها — طاحونة تعبى ، وطحّان

بغداد — صفاء الحيدري

الاسد الطرابلسي

اقصوصة درامية للاذاعة

بقلم الدكتور احمد زكي ابو شادي

استاذ الأدب العربي بمعهد آسيا وسكرتير رابطة منيرفا الادبية في نيويورك

المذيع الراوي :

لم يكن قد مرسوى يوم وليلة مذ أبحر الاسطول العربي تحت إمرة قائده المغوار الملقب « بالاسد الطرابلسي » من ثغر طرسوس في شرقي البحر الابيض المتوسط في ربيع سنة اربع وتسعمائة ميلادية. وكان في موقف المراقبة على سفينة القائد بحريان خبيران مهمتهما التطلع والكشف عن سفن الاعداء، اذ كان الاسطول البيزنطي مهتما – وإن يكن في وجل – بتعقب اسطول العرب وحماية الثغور البيزنطية ... كان الوقت فجراً، وقد لف هذا الاسطول الكبير المؤلف من اربع وخمسين سفينة غشاء من الضباب كانت تثقبه عيون المراقبين الخبراء كما تثقب عيون الزهاء بنظراتها الفاحصة قلوب المنافقين، وكان الرقباء في قلق متواصل ولو انهم لم يبعدوا كثيراً عن الشاطئ، كما يقلق كل مغامر يجد النصر والهزيمة يتصارعان في قبضة يده وهو المبدد بقلقه بينهما.

كان علي ورضوان يحدقان، فخيل الى الاول أنه يرى على مدى الافق اشباحاً اشبه ما تكون بالسفن، سفن العدو الذي لا يؤمن جانبه في اي وقت، ولو ان العدو ذاته في وجل وحيرة ازاء قلق العرب الذي يخفي من الحزم والهمة كما يخفي ترفق الجلاد بالمجرم ما يبته له، او كما تخفي وثبة الهر امام الفأر اعتزام الاول في فراره او فره المصطنع – الكر على الاخير ... وحدق رضوان ثم هز رأسه وقال لصاحبه : كلا يا صاحبي ! هذا سراب !

فتأمل علي مرة اخرى، وكأنما الفجر لم يكن صادقاً او انه عاد الى طبع سابقه الكاذب وابى الا ان يضلل من يثق به ويأتمنه .. وساور رضوان الشك بعد ان كان لا يؤمن بحكم علي، وشرع يحدق دون ان يعترف بخطئه ثم عاد وهز رأسه، ودار بينه وبين صاحبه الحوار الآتي :

رضوان – اني لا ارى شيئاً يا صاحبي .. ولو .. ولو اني اعترف لك بانك ادخلت الوسواس الى نفسي ..

علي – هذا افضل من دخول مراكب العدو مرافىء المسلمين ! تأمل جيداً .. تامل يا رضوان .. الا ترى هذه السفن .. انها اخذت تبتعد عنا .. اكثر من عشر سفن .. ولعلها مقدمة اسطول عظيم ؟! ..

رضوان – اني لم أرها اصلا فكيف اراها مبتعدة ؟ !

علي – كأني بالارض قد عاهدت الليل فهو يأبى ان يفارقنا، وكلما حاول الفجر ان يطل منادياً بالصبح دفعه الليل الى الوراء، وها انت على رغم خبرتك الطويلة تكذبني !

رضوان – لا يا صاحبي .. اني اصدقك فحسب .. اني لا اتبين شيئاً اجزم انه سفن العدو .. لعلها اشباح مخيلتك الشاعرة .. ليتنا بقينا كايام الصبا نعلم في المدرسة بدل هذه المغامرات التي جذبنا اليها قائدنا بلباقته وطلاقته . اتذكر يا علي .. يا صديقي الشاعر المغوار ..

علي – انا الآن نوتي فحسب .. لعن الله يا صاحبي صنعة الشعر .. ماذا غنمت منها ؟ .. قصوراً وهمية، وعوالم عجيبة، كأني مالكها بل خالقها .. هاهاها ! كأني رب الكون .. ولكن يحف بي الفقر والحسد ! .. انسيت تلك الايام السوداء التي كان يرحب فيها « في مجلس المفتي » بنظم المتشاعرين او بقصائد الخطافين المستلهمين اشعاري ..

رضوان – لم أنس يا علي، لم أنس او كيف انسى ايام البؤس التي دفعت قلوبنا بحرقة « الاحرار العبيد » ؟ من الجحود الآن ان اتناسى نعمتنا الحاضرة، ومن الغباء ان انسى العلقم الذي تجرعناه ..

علي – ماذا افادتك كان واخواتها ؟

رضوان – لا شيء .. لا شيء .. صارت اوهامي « كخبر كان » ..

علي – يا لها من احلام فارغة نسجها الشباب وضحك منها العنكبوت حينما ذابت في انداء الفجر، ويا لها من عوالم

مرحت فيها المثاليات ثم تعثرت وكبت امام مظالم الناس ..
كيف انساها ؟.. كيف انساها ؟.. كان المقي، غفر الله له، يزعم انه راعي الادب والقسطاس الرفيع، فكان يغدق خيراته على رجب وشعبان ورمضان وامثالهم من المقلدين او السارقين في حين كان يسخر من شاعر اصيل مثلي وضع المثال المحتذى او الفكرة الملهمة او الخاطرة الموحية ..

رضوان — هذا حال الدنيا منذ الازل ..

علي — انظر يا رضوان ! انظر ! دعنا من هرائنا وانظر ؟.. تأمل جيداً .. اتكذبني الان ؟

رضوان — هذه !.. هذه بلا ريب مؤخر بعض السفن .. لقد كنت مصيباً ..

علي — اذا لم تسعفها الريح فسندركها حتما .. لعل الواجب علينا إيقاظ « الاسد » .. واعطاء الاشارة الى المراقبين في السفن الاخرى ..

رضوان — هذا واجب .. ولكن لا .. اذ لا بد انهم قد رأوا ما رأينا .. ثم ان التعليمات والارشادات التي تلقيناها لا تسوغ ايقاظه قبل الاقتراب الاكيد من سفن العدو، انسيت ان قائدنا لم يذق طعماً للنوم يوماً كاملا ؟..

علي — انك على صواب يا رضوان .. وفوق هذا نسيت ونسيت ان « الاسد » ابلغنا ان خطته هي تحاشي الالتحام بالعدو الى ان يبلغ ثغر « تسالونيكا » وحتى هناك ينوي خدعته ثم تدويخه بالمفاجأة الجبارة كانها ضربة القدر العاتي !

رضوان — صحيح .. صحيح .. ان سيدنا الذي مهرته التجارب العديدة في غزواته السابقة ببحر الارخبيل والذي يريدان يجعل من هذه اعظم غزواته البحرية لا يريد ان يترك شيئاً للمصادفات .. فالمصادفات لا يحفل بها يا صاحبي الا احد ثلاثة : جاهل او يائس او حاسب رياضي يريد ان يداعب القدر ويتفرس في مؤامرته ..

علي — صدقت يا رضوان ! فقد صرح سيدنا بانه ينوي اولاحشد اكبر عدد مستطاع من السفن والبحارة من الثغور العربية المختلفة، وقد بلغ رجالنا حتى الان زهاء احد عشر الف مقاتل وبعد ذلك يتجه الى « تسالونيكا » في قوة اضخم، وقد فهمت أنه يرجو ان يبلغ ذلك الثغر خلال شهر يوليه .

***

المذيع الراوي :
وهكذا نفّذ ذلك « الاسد الطرابلسي » خطته باحكام، مرحلة، مرحلة .. ولم يكن ذلك البطل في ارومته عربياً ولا مسلماً على ما يرجح، اذ انجبته اسرة نصرانية في « أتاليا » بمنطقة « بامفيليا » ولكنه اعتنق الاسلام في صباه واقام في مدينة « طرابلس » في الشام، وتشرب حب الملاحة منذ صغره واشترك في غزوات جمة الى ان بلغ منزلة الصدارة واتخذ « طرسوس » قاعدة لاعماله البحرية وصار تحت راية الاسلام والعربية معدوداً من ابطال الغزاة العرب يذود عنهم وينافح عنهم ويعد نفسه من صميمهم كما تعد النواة ذاتها من الثمرة او انها هي روح الثمرة والحاملة رسالتها حاضراً ومستقبلا .

كانت « تسالونيكا » اعظم الثغور البيزنطية مناعة، ولكن الاسطول العربي الاسلامي في ذلك الوقت — اي في مستهل القرن العاشر الميلادي — كان على درجة عظيمة من المهابة حتى كان يخشاه الاسطول البيزنطي الذي طارده الاسطول العربي الاسلامي الى « الهيليس » « او الدردنيل كما يدعى الان »، وبذلك سيطر العرب على مياه الارخبيل وتأهبوا لمهاجمة امنع ثغور البيزنطيين بقلاعه الحصينة المشرفة من آكامها العالية وبسورها الضخم الطويل الهائل، وكان اهل « تسالونيكا » في حالة غريبة من الجزع ومن الاستخفاف به معاً اذ كانت الخرافات الدينية مسيطرة عليهم، فصلوا وابتهلوا لحاميهم « القديس ديمتريوس » بينما كان الامبراطور البيزنطي « ليون السادس » وقواده في رهبة وخشية نظراً لازدياد سطوة العرب وجرائتهم، وما كان يعانيه الاسطول البيزنطي من هزيمة إثر هزيمة كلما اضطره العرب الى القتال، كان الامبراطور وكان قواده على حق في مخاوفهم الرهيبة اذ ان « الاسد الطرابلسي » بعد ان طارد الاسطول البيزنطي مطاردة عنيفة مدمرة حتى عتبة « الهيليس » توقف في « تاسوس » لاصلاح السفن ولاعداد المنجنيقات وسواها من الآلات الحربية الرهيبة، ثم توجه الى « تسالونيكا » فبلغها في اواخر يوليه سنة ٩٠٤ وحاول اقتحام سورها في الثلاثين من ذلك الشهر، ولكن البيزنطيين تمكنوا بقذوفاتهم الحجرية وبسهامهم الماطرة من رد العرب . غير ان هذا لم يفت في عضد القائد العربي المحنك اذ كان مدخراً حيلا شتى لخداع العدو وقهره، فارسل عربات خشبية محملة بالقار والكبريت ومغطاة بقوارب الصيد الى ابواب المدينة حيث استطاعت طلائعه اضرام النار التي دمرت الابواب الحديدية، ولكن المهاجمين وجدوا خصومهم قد سدوا المسالك التي خلف الابواب واقاموا عليها ابراجاً حصينة ! ومع ذلك استولى الرعب على البيزنطيين وطاش تفكيرهم، واستغل « الاسد

الطرابلسي » برباطة جأشه وحذقه الموقف فداهمهم بسرعة في الاماكن المنخفضة من السور اذ ربط كل سفينتين من سفنه معاً واقام عليهما برجاً يستطيع ان يعلو على ابراج البيزنطيين. وهكذا هاجمهم وامطرهم وابلا من النيران والحجارة والسهام وقاتلهم رجاله قتالا فظيعاً ، حتى انتهى الامر بتداعي جميع الابراج واقتحام ابواب المدينة ، وتدفق العرب فيها ، ولا ساتر لهم غير سراويلهم ، واعملوا السيوف في اعدائهم وقد اطلق كثيرون منهم سيقانهم للريح ، ثم عاد المسلمون من المدينة بغنائم هائلة وباسرى لا يقلون عن اثنين وعشرين الفاً . وفي طريق العودة مساء نسمع هذا الحوار في برج المراقبة لسفينة القيادة ما بين الملاحين المراقبين علي ورضوان :

علي – يا له من يوم مروع ! بئست الحرب ، وبئست الغنائم !

رضوان – الحرب حرب كيفما كان لبوسها ، ولا بديل للغنائم سوى الغرائم ، وستأخذ نصيباً وافراً عندما نبلغ ثغر « زنتاريون » في « اقريطش » .. فمالك تتذمر ؟ !

علي – الدماء ! الدماء يا رضوان ! لقد تغلغلت في أديمي ، وانها لتلطم ضميري صارخة مبكتة ؟

رضوان – ما هذا الكلام يا رجل ؟ الا تحمد الله على سلامتك وغنمك وقرب عودتك الى آلك معافى ؟!

علي – لي ! بلى !

رضوان – اذن ما هذا الجحود يا رجل ؟

علي – الدماء يا رضوان ! الدماء !

رضوان – ما هذا الخبل ؟ اتريد ان تترك عملك المربح وتلقي جانباً الثقة العظيمة التي وضعها سيدنا فيك ؟

علي – لا ! لا !

رضوان – اذن دعني من هذا الهذيان !

علي – ان يدي وقلبي ملطخان !

رضوان – الا تفهم اننا في الواقع ندافع عن بيوتنا واموالنا، بل وعن ديننا ايضاً ؟ الا تدرك ان غزواتنا هذه هي بمثابة حرب دفاعية لاقصاء هؤلاء العلوج عن مواطننا العزيزة لدينا ؟ الا تقدر انه لولا هذه الجهود لكانت نساؤنا سبايا وليتم اطفالنا ولكان مثلك ومثلي أشلاء مبعثرة او على احسن حال بين أخس العبيد ؟!

علي – بلى ! بلى !

رضوان – اذن دعني يا صاحبي من هذا الكلام السخيف الذي لا مفهوم له كانما اصابك كابوس !

علي – هو كابوس والله ! ارايت آلاف الاسرى الباكين المشردين؟ ارأيت السبايا المولولات؟ ارأيت الاطفال المروعين؟

رضوان – كفى ! كفى يا رجل ، ولنلتفت الى المراقبة ، فقد يفاجئنا الاعداء بسفنهم في هذه الليلة الدهماء التي حانبتنا فيها نجوم السماء كأنما بيننا وبينها عداء !

علي – انه سخط الله علينا !

رضوان – كفى يا رجل ! .. لقد سئمت هذه الثرثرة العاطفية الجوفاء.. وستعرف ذلك لو تمكن البيزنطيون من الانقضاض علينا في هذه الليلة الحالكة الخبيثة واعملوا فيك سيوفهم !

علي – الا تعلم ان بين الاسرى افاضل من البيزنطيين والصقالبة رجالا ونساء، قد تكون عاقبتهم الفناء ؟ اترضى لاشرافنا مثل هذه الخاتمة ؟

رضوان – هذه هي الحرب يا رجل .. هذه هي الحرب كما قلت لك تكراراً ، والعادي هو الظالم وحده .. ومع ذلك، هل نسيت ان من عادة سيدنا افتداء اهم أسرانا بهؤلاء الاسرى ، وسيفعل ذلك حتما في « طرسوس » حيث سيوزع الاسلاب والغنائم الباقية، وقد جعل ذلك الثغر مركزاً لاستبدال الاسرى!

علي – لم أنس .. ولكن يطن في اذني رثاء الشعراء للاصقاع الاسلامية المنكوبة وعذاب اهلها .. وتشريد الاحرار ونكبة الاسرى ..

رضوان – منكوبة في عينك يا غافل ! الا ترى اننا ندفع المكروه عنا ، ولسنا نجلبه الينا ؟! يا ليت سيدنا قد حرم التحاق امثالك من الموسوسين ! ان الشعر والجندية لا يتفقان ! ولكن صه ! .. فهنا وقع اقدام !

علي – لا اسمع شيئاً يا صاحبي ! لعله « ضميرك » وقد عاد اليك بعد تجوال اليم بين الاسرى الذين يعانون الجوع والبرد ويلتمسون صداقة الموت !

رضوان – بل هو « التاريخ » ايها المأفون يفحص ويحقق ليدون في سجله للآتين كيف كانت وتكون بطولة العرب وفداءيتهم، كيف يرخصون ارواحهم في سبيل الدفاع عن الشرف والدين والكرامة والقومية .. ثم كيف يكونون رحماء في اوج النصر – بالاسرى والضعفاء ! نعم ! نعم ! هذا وقع خطواته، استمع اليها يا علي فانا اسمعها جيداً .. ولتعلم اخيراً يا صاحبي ان « التاريخ » لن يكذب على احد ! [النهاية]

نيويورك — احمد زكي ابو شادي

اللهب المجنون

لمحي الدين فارس

القاهرة

قلبي يلوبُ ... كأن عاصفة هوجاء تنذره .. فيرتمدُ
سوّتْ يدُ الأوهام عزلته قبراً ... يحارُ بليله الابد
رشفتْ دماهُ فعاد منتحراً أفعى ... يبيعُ خمورها جسد
في ليلةٍ حمراءَ راقصة جمعت بناة الفن فاحتشدوا
باخوسها السكرانُ ملتفع بعباءة خضراء تتّقد ..
قدحٌ يدور ، وأرغنٌ عجبٌ ونواظر بالشوق تبترد
وملاحن الاغراء ترسلها سمراء في أعطافها غيد
حتى إذا الليل الضرير ذوى والفجر، طفل، لاعب غرِد
ملأ الروابي من طفولته فزها.. ووشّح خطوه بَرَد
عاد الجريح يؤوده ألمٌ ضاف .، ويغزو فكره كمد
ظمآن في الاسوار ضلّله نهر السراب... فأيّةً يَرد
شبح الخطيئةِ في مدارجه ومواكب الاشباح والنكد

☆

قلب شاعر

الى الذي تساءل « لمن ؟ » فتجاوبت بصداها الآفاق

لعبد الرسول الجشي

القطيف ـ السعودية

أيها الشاعر المعذب بالحب ترفق بقلبك المجروح
هو قيثارة الهوى كلما جست تنزت بأنة المبحوح
لا تزدها توجعا وانينا حسبها ما بها من التبريح
انت تذري الدموع خرسى وخلف الدمع اجهاشة المنى والطموح
حرق كلما تصاعد منها نفس خلته بقية روح
من معيد لك الشباب اذا ولى كومض بين الغيوم مليح...
ما وراء الربيع والطير والانغام والخمر والمروج الفيح...
غير طيف من الخريف كئيب وبقايا من رمة في ضريح
هذه الكأس والرحيق وباخوس يزجي الدنان غير شحيح
ولدت والفنون والشعر والحب على رفرف الجنان الفسيح
وجلاها النديم في الكأس اضواءً وعطراً ومتعة في الصبوح
فارتشفها فانها نهلة الروح وفيض من العزاء المريح

مولد لينا

الى البير اديب وفدوى طوقان تحية لطرفتيها « لمن ؟ » و « وحدي مع الأيام »

☆

بقلم محمد العيتاني
من اسرة الجبل الملهم

☆

قالت الاسطورة :

... وأراد « جوبيتر » ان يخلق « لينا » الجميلة فجمع العناصر والاشياء، وكل ما في السماء والارض من جمال وقال: نفسي اليوم مخمورة ، واحس بالسعادة ، واريد أن أوجد على الارض ربيعاً انسائياً آمله في حسناء . واختصر عظمتي الالهية كلها في امرأة جميلة . يمجدني الشعراء باسمها ، ويعبدني من خلال اهدابها الساحرة عشاق الجمال .

فماذا تهبين هذه الحسناء يا مخلوقاتي الحبيبة ؟

قالت الغمامة :

أهبها لطفي، والخير الكامن في ذراتي، أهبها حناني على الارض الجدباء، وظلالي المفروشة على الرعيان ، وصفاء القطرة المعطاء التي تفيض على اليابس ، فاذا به جنة ، وعلى الهشيم، فاذا به تفاح ورمان..

وقالت السوسنة :

اعطيها دقة خطوطي، وزهوة الواني، ونعومة نفحاتي. واعطيها من كياني المزوق، ونعومتي الغضرة، وأعطيها أيضاً يا إلهي ، رنة اسمي

والحمرة اللطيفة التي تعمل في اعماقي فتجعلني زينة الوادي

وبهاء الغور، ومطال التلال .

وكل ما يموج، بلطف وضراعة ، في خصري الدقيق ، وغمزتي المنطوية على العطر والجمال

وقالت شجيرة الرمان :

خصري ينتصب يا إلهي في عنفوان .
مجدولا فوق اعشاب البرية الخاشعة
ونحوك تتسامى اغصاني
وتشرئب..منمنمة بالاوراق الخضر الندية

اللامعة والازهار الدموية الحمراء .

او النارية الصارخة .

ازهاري الحمر أهبها لشعرها الاملس الانيق تتخلله كما تتخلل السنابل صغار ازاهير الشقيق ..

وخصري، من ليانه وهيفه وانسكابه وشموخه . اهبها كبرياء الخصور ..

وانا ، يا إلهي ، حسناء صبية .

نهاراتي أضاءت خمسة عشر ربيعاً

انتصب في بستان قريتنا الخلوي ، الهادىء، البعيد المائج باغاريد الحساسين، وشهقات البلابل والمزركش ، بعطر البر وبحيح الناي ورنة الساقية وقداسة الصمت.

والحمرة المتنفسة في بال الشاعر

انا يا إلهي .

تركت كفك المقدسة .

بعد اعاصير كانون ، وثلوجه الهاطلة ورياحه الفاحة، في شقوق المسالك..

تركت كفك للربيع رمانتين

لانامل العاشق ، وميلاد الطيوب ..

هذا الجنى اهبه لحسنائك الخالدة يا إلهي ،

وغداً اذا ضجت بالدماء والآهات ، والشهوات العتاق نهود الحور .

ارتعشت على صدر لينا الوليد ، قبل الرمان رفيعة وادعة ، عاصفة آمرة ..
ومن صدرها يفوح شذى البراري .

***

وقالت الوردة :

اهبها ، أنا ، يا الهي، اسطورة الورد.

الورد على الضفاف والمماشي ، الورد في المساكب ، الورد على الشرفات ...

في حديقة الحسناء، ذات الفسطان السماوي، اهبها يا إلهي لوني ودمائي عطري وكبريائي .

والشوكة تقتص من دماء الاثيم القاطف والخضرة الطيعة الحنون التي تحف بجمالها الوردي وتبرز أبعاد اللون الزهري وتجلوها من حواشي الاخضر .

واهبها يا إلهي، اختمار البراعم الطفلة، بالحياة والحب

واهبها ايضاً تكدس الواني، وتموجات جمالي المتشحة بالف لون ولون :

الاحمر يا الهي شفقي ونبيذ الدنان

والنار المتوهجة في مواقد الشتاء ..

والجمرة الصارخة بين الرماد .

اضع الاحمر الملتهب، الاحمر الشهي، الاحمر المبحوح : على حلمتي نهديها : وهما قبلتنا المخمل الاحمر .

وفي شفتيها، وهما حبتان من كرز الالهة والاحمر البراق، الخاطف، احمر العقيق احمر النار . اضعه في شعلتي خديها .

وعندي، يا إلهي ، لواحة من جمالاتها الخفية... الاحمر الساعر .

الاحمر المحترق، الداكن ، الغضوب المربد احمر البراكين ولون دماء القتيل التي تصبغ حجارة القرية ، منذ شهور ...

احمر البن القاتم. لون افاوية الشرق جهنم الرمال، ولفح الهجير والهجر.

الاحمر العنابي الناضج ، بلون
الزيتون في ايلول
اتركه لها ، من وردة على السفح ،
منفردة بلوعتها وحرقتها
تميل بخدها اللاهث .

وردة صغيرة، فتقت ـ هذا الصباح ـ
برعمها الحسن شوقاً ونزقاً وحرارة وشهوة
الى ملامس النور
فتكون في «لينا»، وردة الورود...

***

والاصفر يا إلهي .
إذا أحبت واشتهت .
وشقيت وناحت والتاعت .
«ولوعة الالهة شيء من أول الزمان»
الاصفر الشاحب ، من ظهر
الكناري ، والحسون
ومن مناقر الافراخ الناشئة
ومن حيرة الذهب ، على صدر الجميلة
ومن الاوراق الصفر ، تدوّم فيها
هبّات الخريف
ولوعة الورس والوزال .
وصفاء الاقحوان
واخلاص عابد الشمس
أصفر الشموع ، في الهيكل ، يتألق
وعين الشمس صفراء .
من وردة صفراء، اهديها، في ميلاد لينا
لشحوبها الالهي
في ليالي الحب، واماسي المرض المبدع
لتحمل العشاق الى نشوة الابد الحزين.
واللون الزهري يا إلهي .
من شفاه براعم الياسمين الزهرية
ومن لوني انا الصامت الزاهي الحنون
ومنه تتشح الصبايا بفساطين الصيف
لتخطر بين الدوالي الخضر
اللون الزهري اعطيه
لتسكبه على اجزاء جسدها
وتفرغه على جيدها ونحرها وعزة
نهدها وضمور خصرها وفي رخام فخذيها
امزج هذا اللون الزهري ، لون
اللحم والدماء الزكية . باحلام الياسمين
من وردة ، بيضاء ، تتوثب، طاهرة
في جنة الورود وراء الجدار .
لان الابيض يا الهي من ألوان الورد.
ومن وردة بيضاء
مثل أحلام العذارى ...



ستنسج الانامل فستان الزفاف
لجيلة الجميلات

***

والخيط الابيض، إذا امتد من وردة
ودار نسجاً على المنوال
ثم دار من جديد ، حول خصرها
وجيدها ومعصميها وقدميها
بصفائه وفجره ولؤلؤه ونقائه
وثناياه المبتسمة بالطل ...
أبيض الحليب ، والعاج ، والطل
والصفحة التي مات عنها شاعر لم يكتب
تلك الليلة ...
اقتبس منه يا الهي
عاج اللؤلؤ بين شفتيها
ونور البرتقال على اظافرها
الابيض . الابيض . قصة الرمل عن
جسدي ادونيس وعشتروت .
خذ ، منه ، لها
أظافرها ونحرها
وجبينها
وافكارها ...
وعلم «جوبيتير» بان الورد ، صاحب
الف لون ولون
وان الوان الورد الحان وانغام
وابعاد ، لا تنتهي
فابتسم للوردة الام ، فصمتت .
وقالت النحلة :
اهبها – انا يا الهي – لون العسل لعينيها
ولطف خصري .
وإبرتي المغناج المؤلمة الوخز، للجريء
وقال الشاعر :
اخلدها
وقالت الخمرة : احل في عينيها
واسكن ارواح عاشقيها
وقال إله الرقص :
اسربل مشيتها الخضراء
واطل من صوتها الناغم المزقزق
وحركاتها .
وقال ملاك :
القي عليها ظلا من السماء
والنهر قال : أنا لحديثها ونجواها
وقالت قيثارة حزينة كانت حالمة
وراء صخرة مزهرة :
اتغنى واحمل الى اذنيها الجميلتين
صدحات الرعيان
وتمتمات العاشقين
وقال وتر : اظل اهزج بحسنها
واترنم بجمالها حتى أتقطع
وقالت الامومة : اعطيها حناني
وقالت الكبرياء : انفحها بخيلائي
وغمغم النسر بصوته الاجش :
انظر اليها ... مرة .
وقال الاسد : القي عليها شيئاً من جلالي
والريح : اصمت اذا بلغت شباكها ..
عند عصف الشتاء ..
والقمر : ما تريد من بهاء والق
واعطها من امانيّ نجمة زرقاء .
والنجوم : ان تكون مثلنا تهدي الضالين
ولكن لا تنال ...
الشمس : اعطيها الحياة والحرارة .
وشعاعاً يتسلل وضيئاً الى غرفتها
عند الاصيل ..
الانسام : نحف بها اذا خطرت .
ونرسل لها نسيماً يحرك فسطانها
يسليها . ويدندن لها غنوة
وقالت الظباء والآرام
والغزلان : نسترجع من شعراء العرب كل
اوصافنا التي بددوها على بدوياتهم الحبيبة،
في قصائدهم ... فاذا جمعناها من بطون
الدواوين ومجاهل المخطوطات اخترنا
اجملها واروعها ..
وقال البحر : اعطيها لؤلؤة لم تصل
اليها بعد ، يد غواص
والسماء قالت :
اذا شاءت هي « وصمت رفيقتي
النحلة التي تريد ان تلون عيني « لينا »
بلون العسل » اعطيتها لعينيها :
قبسة من أصفى مكان فيّ ... قطعة
من السماء .. من مكان ازرق صاف
لم تدنسه نظرات البشر ولا مرت به
اجنحة الشياطين ..

***

هكذا بدأت الاشياء تعطي « لينا »
وإنه لحديث طويل
روى شاعر مغمور أوله
ثم مات دونه
تقطعت أوتاره من عضات الجوع ..
فلم يكمل
ولكن « لينا » وُجدت ..
وتحدرت الى دنيا البشر
وعاشت .
وفي قرية وادعة تحيا – اليوم –
حياتها الانسانية .
ولكن ...
هل تذكر «لينا» اعظم الاعطيات ..
انها اعطية الاله جوبيتر الذي وهبها
نفحة من نفسه القادرة
بعد حديث العناصر والاشياء
وهبها أزلا إستله من أقبية الزمان
وروحاً يصفها الشعراء، ويعجزون،
فيقولون إنها : إلهية
وبعد ذلك ؟
بعد ذلك اصبحت «لينا» هي التي تعطي
فتقسم هداياها ، بين الالهة، والبشر.

محمد عيتاني



بريد معاد

الى شهداء معركة جدين ٢٠-١-١٩٤٨

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

قصة

وضع الاستاذ عبد الحليم يده على سماعة الهاتف وقال لكاتبه في نزق : — نعم ؟

— شاب بالباب يقول ان اسمه يوسف وانه يعرفك من فلسطين .

— قل له اني مشغول ... مشغول جداً .. إصرفه بالتي هي احسن . اتراني فارغاً لمقابلة كل هؤلاء الناس من فلسطين ؟

فخرج الكاتب ممتثلا للامر واغلق الباب وراءه برفق وعناية . اما الاستاذ عبد الحليم فقد افتر ثغره مبتسماً من جديد وهو يتحدث الى سماعة الهاتف حديثاً ناعماً . وكان موضوع الحديث شيقاً يعذر الاستاذ عبد الحليم اذا شغل به عن الدنيا ، حديث خطيب الى خطيبته ، بل حبيب الى حبيبته . كان يقول لها ان اعمال موكليه اذا صرفت عقله ، الى حين ، عن التفكير بها فانها لن تصرف قلبه ، ابداً ، عن النبضان بحبها . وكان يقول لها انه اذا انشغل في الصباح بالمحاكم وانشغل في الاصيل باصحاب الدعاوى فان ذلك لا يزعجه كثيراً ، لعلمه انه ينشغل عنها لها ، ولعلمه انه سيلقاها في المساء زاهية فاتنة فيغسل همومه يومه بالالق المنسكب من عينيها ويستمد من نضرتها الحيوية والنشاط الحافز والطموح . وكانت هي ، على نهاية سلك الهاتف الاخرى ، تضحك وهي تسمع منه حديثه وتقول له انها لا تعجب من ربحه كل دعوى يترافع بها امام المحاكم ما دامت له هذه الطلاقة في اللسان ودام له هذا المعسول من الكلام . وتسائله ، اتراه سيبقى في هذه اللهفة اليها حين يكتمل حبهما بعد عام ، ام انه سينشغل عنها ، كما ينشغل زملاؤه عن زوجاتهم ، بالمقهى وملفات القضايا وموكلاتهم من النساء الجميلات ؟ وبينما كان الاستاذ عبد الحليم يدور ، والسماعة على اذنه ، حول المنضدة توهماً انه بهذا يصبح اقرب الى خطيبته ليرد على شكوكها في قوة حبه لها ، فتح الكاتب الباب من جديد ومد يده بمظروف عتيق القاه على المنضدة ووقف ساكناً . فوضع الاستاذ عبد الحليم يده مرة اخرى على فوهة السماعة لئلا تسمع خطيبته كلامه وصاح بكاتبه : — ما هذا ؟

— أن صياح آغا في غرفة الانتظار . وهذا الشاب الذي اسمه يوسف اعطاني هذا المظروف .

فزفر الاستاذ عبد الحليم ، وودع خطيبته على الهاتف ، ثم استدار الى كرسيه وراء المنضدة وقال للكاتب :

— ادخل صياح آغا الى هنا ثم اصرف هذا الشحاذ . الم اقل اقل لك اصرفه بالتي هي احسن .

ومد يده ليزيح المظروف بظاهر كفه . ولكن عينه تبينت كتابة تكاد تكون مطموسة على وجهه . فخيل اليه انه يعرف حروف هذه الكتابة ويعرف كاتبها ، بل وانه يعرف المظروف نفسه . وجمد نظره على المنضدة لحظة بينما احس ببارقة من التفكير تخترق ذهنه ويداً تمتد من الماضي تعصر فؤاده . فرفع رأسه وقال لكاتبه الذي كان يتهيأ للخروج :

— اسمع يا احمد . اسق صياح آغا فنجان قهوة وقل له اني مشغول للحظات .

ولما اغلق الكاتب الباب وراءه في رفق وعناية كعادته كلما خرج ، تناول الاستاذ عبد الحليم المظروف واخذ يقلبه في يده . وكان مظروفاً قديماً بالياً ، تمزقت حوافه ولطخت وجهه بقع وسخ حائلة اللون . وعلى ظاهره كلمات خمس مكتوبة بحبر ازرق وخط دقيق . ولكننا نخطىء اذا حسبنا ان الاستاذ عبد الحليم كان يرى كل هذه الصفات في المظروف حينما كان يقلبه . فقد كان في ذلك الآن سبل الاجفان فوق نظرة غائمة ، مشرد التفكير الى لحظة غير لحظته تلك ومكان آخر جد بعيد عن مكانه من مكتبه في المدينة التي هو فيها . وبينما كانت عواصف من العواطف والذكريات تجيش في نفس الاستاذ عبد الحليم عائدة به سنوات خمساً كاملة الى الوراء ، امتدت يده في هدوء الى طرف المظروف البالي فمزقته ، وكان في الحق ممزقاً بذاته ، واخرجت منه ورقة مطوية فضها واخذ يقرأ الرسالة المكتوبة فيها ، في ترو وأناة :

أبي ، انك تلقيت نعيي قبل ان تصلك هذه الرسالة بامد قد يكون طويلا ، وسأثير عبرتك من جديد وابعث الدموع في عينيك الصابرتين بهذه الكلمات التي خطتها يدي والتي ستقرؤها على ضوء المصباح الغازي او عمود النور المنسكب من النافذة الصغيرة في غرفتنا القبلية فعفواً يا ابتاه . اني لا احب ان انكأ جراحك ولكني اشعر اني لن اقوى على الموت قبل ان أقول لك ما

اريد قوله الآن . لم اسمع منك كلمة لينة في طفولتي ولا في صباي، وكنت لي دائماً اما آمراً او زاجراً . ما كنت تغدق علي عطفك الا في غيابي ولا تقبلني الا عندما اكون نائماً ، فما استطعت ان انبسط في حضرتك يوماً او ان انعم بصداقتك . اتذكر اليوم الذي لطمتني فيه على قفاي حين طلبت منك ثمناً لكتاب القراءة منذ ثلاثة عشر عاماً ؟ لم ينسني مرور الايام تلك اللطمة ، بل حسبت في اعوام كثيرة متتالية اني لن اغفر لك تجنيك علي بها ابداً . لقد شببت بعدها عن الطوق وعلمت لم كنت تقسو علي قسوتك تلك ، بل وشكرت لك تلك القسوة . اما اليوم فاني اشعر باني احب منك هذه القسوة كل الحب . ليت لي في هذه الساعة يا أبت لطمة كتلك التي حبوتني بها منذ ثلاثة عشر عاماً. ولكن علي ان ابتسم لهذه الامنية ، اني جد بعيد عنك الآن . وغداً ، او بعد غد على الاصح ، ساكون ابعد منالا وذلك حين استقبل رصاص اليهود بصدري وجبيني .

اني اشعر برجفة يديك وانت تقرأ هذه الكلمات واحس الغصة التي تملأ حلقك . إني اعذرك يا ابت فانا مثلك . اني ابكي الان ويدي تخط ما تخطه اليك . اذا سالت عبرتك وانت الجلد الصبور فما الذي تفعله هذه العجوز الرقيقة القلب التي تتطلع الان بعينيها الواسعتين اليك ، امي ؟ اماه ، لكم قسوت عليك واستقبلت بسمة اللامبالي حدبك علي ! صدقت ما كان تقوله ابي من اني اصبحت رجلا فرحت اتهرب من مجالي عطفك واقول لك كلما ضممتني عند سفر او قدوم ، وكلما لممت على جسدي الغطاء وأنا نائم ، اني لم اعد طفلا . اما الآن فاني اذكر مواقفي منك نادماً . انت التي بكيت كل ليلة طيلة ثلاثة اشهر لانك لم تقبليني حين ودعتك ، ما الذي تفعلينه اليوم وقد غادرتك دون ان اودعك ، وذهبت الى لا عودة ، ابداً ؟ !

إني هنا على هذه القمة ، قمة سبلان فوق حرفيش من لواء الجليل ، منذ اسبوع . لقد اخترقت الحدود يا أبت منذ عشرين يوماً ولكني لم اعلمك بذلك . اتراك لو اني اعلمتك عن عزمي تحاول تني عناني عنه ؟ لو انك قدمت إلي وانا في معسكر التدريب لما ملكت الا ان تباركني ناسياً الكلمات الحارة التي ملأت بها امي أذنيك حين عزمت على السفر . اتراك تتصور ان يدعو الداعي فلا البيه بقلبي ودمي ؟ لقد شبت النار لعيني على بقاع فلسطين فتركت لاجلها مقعدي في كلية الحقوق وانضممت الى هذه الجماعة التي تعسكر اليوم على هذه القمة . انا اليوم واحد في عمار الجماعة ، اعز صاحب لي فيها سائس البغال زهراوي . لم تكن هذه صناعته قبل ان يلتحق بعصبة المجاهدين هذه ،فقد كان يملك دكان خياطة في حمص، ولكنه هجرها مثلما هجرت انا مقعدي في السنة الاخيرة من كلية الحقوق . ان زهراوي شجاع ونبيل يا أبت . وهو الذي زكاني عند الملازم عمر حتى قبلني في مفرزته التي ستتسلل الى بوابة قلعة « جدين » بعد غد. لماذا لا اقول لك الحقيقة يا ابتاه ؟ بان جماعتنا ستنزل مساء غد الى السهل ، وستهاجم قلعة « جدين » والمستعمرة التي تقع تحت اسوارها في الصباح . وسيتسلل ثمانية من الفدائيين زحفاً على بطونهم ، بنادقهم معلقة في ركابهم والسكاكين في افواههم، بين

الغام بوابة القلعة ليباغتوا الحراس بهجومهم. انها مهمة الشجعان، وستفخر يا ابت اني واحد منهم، واحد من اولئك الفدائيين الذين يقودهم الملازم عمر ...

هذه هي الحقيقة التي اقولها لك يا أبت، وهي التي جعلتني اخط اليك هذه الكلمات. اني لن اراك بعد الان ولذا فاني انفض بين يديك دخيلة نفسي. لم اخف من الموت يوماً ما، ولكني اشعر الآن باني آسف على الحياة. هذا كلام بيني وبينك ارجو ان لا يبلغ مسامع امي، واذا اصرت خالاتي ان تقرأ عليهن هذا الكتاب فاقفز هذه الفقرة منه. اما اخي الصغير فليقرأ كتابي حين يكبر. انه الآن بين لداته من صغار التلاميذ يروي لهم ما يخلقه خياله له من مغامرات اخيه مع اليهود وراء الحدود. ما اسخف ما ينسجه الخيال، على غناه. اما الحقيقة فهي راسخة متمكنة، على فقرها، والحقيقة، يا أبت، اني بعد غد سأموت!

معي في هذه القبة من قباب قرية سبلان اربعة من المجاهدين الوقت ليل وهم نائمون. وهذا احدهم يشخر بقوة، انه الاستاذ احمد، مصري، رافقنا من معسكر التدريب واحسبه سيفارقنا غداً قبل ان يصلى النار المقدسة. والملازم عمر، هو بعينه الذي سيقودنا نحن الفدائيين في فجر بعد غد الى الموت، نائم الانمل جفونه. وهذا الذي يتقلب بجانبي اسمه حسن. وذاك القصير المكتوم على نفسه هو يوسف وهو الذي سينقل اليك هذه الرسالة. انه الوحيد الذي سيكون بنجوة من الخطر في هجوم بعد غد لانه عامل على الآلة اللاسلكية التي تصلنا بقيادتنا وراء الحدود. اذا أتاك فاكرمه يا ابي. احسب لو اني اعطيت الحياة بعد يوم جدين لوهبته نصف ما املك وأنا راض، لا لشيء الا لايثاره اياي بخير ما تملكه يداه في هذه البقعة المنقطعة من الارض. ما كنت احسب ان الحياة ستكشف لي عن مخابر الرجال كما كشفت لي في تجربة هذه الايام. ان يوسف، وستراه قميئاً دميماً ناتيء عظام الوجه، احد الذين تسلبهم مظاهرهم الجولة الاولى من قلوب الناظرين. فلا يخدعنك مظهره عن جوهره يا أبت، واذا استطعت ان تكون له عوناً في يوم من الايام فافعل وقل لقد كان صديقاً لابني.

وداعاً يا ابت. ان الملازم عمر يتململ في فراشه وانا اخاف ان يستيقظ ويرى في عيني الدموع التي لا تليق بواحد من رجاله في زمرة الفدائيين. وداعاً يا أبت، وكن شفوقاً على احزان امي المسكينة. وليحفظ الله لك أخي عله يكون عزاءك في احزانك علي.

عبد الحليم

وسقطت الورقة من يد الاستاذ عبد الحليم وسقط معها رأسه على المنضدة امامه بين كفيه. كانت في عينه دموع لا يريد ان يراها كاتبه اذا دخل فجأة لانها لا تليق بالاستاذ عبد الحليم وهو من هو في عالم المحاماة وبين المتقاضين. لقد بعثت هذه الورقة الممزقة الماضي الراقد في اعماق نفسه والذي جعلته ايام الكفاح المرير في دنيا المادة غريباً عنه. ان وقته، وقت رجل العمل الناجح الذي لا لحظة فيه دون موعد مضروب اوقضية معروضة او مشكلة يجب ان تحل، قد غلظ حجاب بابه دون من ليس في لقائهم فائدة تجنى او ربح ينال، وغلظ حجاب قلبه امام معان افتقدها منذ زمن طويل: العطف والصداقة المجردة والتضحية. ولكن هذه روح قد انطلقت من زوايا المظروف العتيق وراحت تتعاظم امام عينيه كأنها مارد منطلق من قمقم، مذكرة اياه انها كانت المنار الذي يهديه، أنها مثله الاعلى. وهذه مشاهد ظن انها لن تخطر له يوماً على بال منذ ان انغمس في حياته الجديدة بعد فراغه من دراسة الحقوق تعود الى خاطره قوية ندية: قمة سبلان وقبابها المعتمة والطريق الوعرة الضيقة التي تصعد اليها عمودية من قرية حرفيش في لواء الجليل. والريح القارسة في ليلة جدين تحز الوجوه والاشواك تنغرس في اكف الزاحفين في ظلامها. والملازم عمر الذي نجا من رشاشات اليهود، نجا موقتاً اذ قتل بعدئذ في حادث طيارة. وزهراوي الذي ظل شلوه بين الاسلاك الشائكة، لم يدفن الى اليوم. ويوسف، يوسف الذي لم يره عبد الحليم منذ عاد من جدين مع الجرحى، يوسف هذا هو ... انه على الباب!..

وارتفعت رنة طويلة للجرس في غرفة الكاتب لم تنقطع حتى دخل هذا الى المكتب وهو يقول:

ـ هل ادخل صباح آغا يا استاذ؟ انه هنا منذ زمن طويل وهو يحمل حصة المكتب من قضية الارث. خمسة عشر بالمائة من ذلك المبلغ الكبير.

فسكت الاستاذ عبد الحليم لحظة، وكان وجهه لا يزال مدفوناً بين كفيه، ثم قال:

ـ قل لصباح آغا اني مشغول اليوم. وادخل يوسف، فما احسبه قد ذهب. ادخل يوسف ...

عبد السلام العجيلي   **الرقة - سوريا**

مكانة الفرزدق

بقلم عبد العزيز سيد الاهل

فأما من* ناحية الفن فانهم صوروا الثلاثة الامويين بجياد الحلبة وخيل السباق ، فقالوا إن الاخطل كان يسبق حيناً فيكون اولا ثم يرجع حيناً فيكون في آخر الجياد ، واما جرير فيكون اولا ثم يتوسط ثم يتخلف ، واما الفرزدق فكان دائماً بمنزلة المصلي ، وهو تصوير حق ، فان الفرزدق توسط ثم جمد وتماسك وسار في طريقه لا يرق ولا يلين، حتى اذا طمحت نفسه ذات مرة لرقة الغزل او رقة الحزن لم يجنه فنه الى ما اراد فتخلف عنه او تعالى عليه ، لانه سار على نمط واتخذ طريقاً ، ولولا ذلك لالتوى فرق ولان . وهذه كانت العقبة في طريق الفرزدق فلم يصب حظاً في صفوف الغزلين ولا الباكين .

وفضله القدماء على صاحبه جرير من ناحيتين اولاها انه خاض في الهجاء الى مائة من المعاني من حيث بقي جرير على الشاطئ فلم يصب غير ثلاثة منها، فاذا اضيف الى ذلك انحطاط معاني جرير لاتصالها باذواق العامة واستدرارها رضا الجماهير بان من ورائها سمو آخر للفرزدق في معانيه فانه لم يقل الا ارضاء فنه وصناعته. والثانية ان الفرزدق كان بسموه في المعاني كانما يبني وجرير كانما يهدم ، وقد قيل لمسلمة بن عبد الملك أي الشاعرين اشعر؟ فقال: الفرزدق يبني وجرير يهدم ، وليس يقوم مع الخراب شيء .

وقديماً رموا الفرزدق بانه سارق اشعار ، ومعنى هذا ان كل ما حصلنا عليه من تاريخ الفرزدق يجب ان نشك فيه ونتورع في نسبته اليه، فقد تكون الصنعة لغيره والاجادة لسواه ، وقد اعان الاصمعي على هذه التهمة فادعى ان تسعة اعشار شعره مسروقة، وهي جرأة من الفرزدق اقدم عليها لانه كان من باهلة وكان الفرزدق قد هجا قبيلة باهلة التي هي اهل الاصمعي فجعلها الراوية قصاصاً من الشاعر ، وفي مقابل هذا التوسع في التهمة كذبه حماد الرواية في بيت واحد ، ومدى الفرق بعيد بين الروايتين . وفيما بين الاصمعي وحماد امسك عمرو بن العلاء عن القول ولو قال لكان اصدق لانه كان اعلم الناس بالفرزدق ولكنه لم يفعل .

واذا نظرنا في اخبار سرقاته ثم جاز لنا ان نصدق دون ان نتطرف كالاصمعي او نتورع كحماد فاننا نفهم من هذه الاقوال انها دليل على قوة فن الفرزدق ، اذ هم لم يضموا الى شعره الا اجود الاقوال ، وما خافه الشعراء انفسهم الا لانه كان اذا ضم اليه من اقوالهم شيئاً صار له وحده دونهم فقد كان اعلى مقاماً وابعد شهرة واقوى فناً ، بل ربما اضافوا له فيما بعد من جيد الاقوال ما صلب لفظه وقوى اسلوبه وارتفع معناه ليوافقوا بين هذا المضاف وذلك الفن المشهور له .

وتتصل بهذه الناحية ناحية اخرى تلك ان الفرزدق فتن بصناعته فلم يفضل عليها رضا احد ، ولم يسمع فيها الى قول ناقد ، ولست اريد ناحية فخره بشعره التي يقول فيها :

انا الشاعر الحامي حقيقة قومه ... ومثلي كفى الشر الذي هو جارمه
وكنت اذا عاديت قوما حملتهم ... على الجمر حتى يحسم الداء حاسمه

او يقول فيها :

لقد كافحت مني العراق قصيدة ... رجوم مع الماضي رءوس المخارم
خفيفة افواه الرواة ثقيلة ... على قرنها نزالة بالمواسم

لست اريد هذه الناحية وانما اريد تلك الغطرسة وذلك الطغيان فيه ، فانه رفض ان يترضى الناس بفنه او يسمع نقدهم له فاساء كل الاساءة ، فقد كان اذا اخطأ او تعمد الخطأ وارادوا رده عن خطئه تمادى وزادهم اخطاء وامطرهم اغلاطاً ، واخباره في ذلك كثيرة عند النحاة واهل اللغة ، وقد تلقفوا اقواله وانساحوا وراء مصاعبها راضين لما رأوا في الانسياح وراءها من لذة في الدراسة ، ولعل الفرزدق لما فطن الى ذلك اتعبهم واثقلهم حتى قالوا انه اتعب اهل اللغة والنحو حتى سيبويه ومن بعده فانهم لم يبلغوا منه ما يقنع ويرضي .

والفرزدق لا يخلو من إثم كبير في هذا الذي اصاب به اللغة من الاتعاب والاثقال ، مهما اوقد خواطر الدارسين وفتق لهم ابواب العلة والحيلة . ومن ابياته المشهورة في هذا الباب :

فقام ابو ليلى اليه ابن ظالم ... وكان اذا ما يسلل السيف يضرب

وهو في هذا البيت يعمل « اذا » ويجعلها جازمة ويزيد بعدها كلمة « ما » توكيداً .

وهو الذي ادخل الالف واللام على ترضي وهو فعل مستقبل على جهة الاختصاص بالحكاية فقال :

ما انت بالحكم الترضى حكومته ... ولا الاصيل ولا ذي الرأي والجدل

وهو الذي داخل بين الكلمات في الابيات فقال :

وكل رفيقي كل رحل- وان هما ... تعاطى القنا قوماهما - اخوان

* راجع الأدب عدد يناير ١٩٥٣

وقال في مدح خال هشام بن عبد الملك هذا البيت المشهور:

وما مثله في الناس الا مملكا ... ابو امه حي ابوه يقاربه

وكأن الفرزدق بهذا فتح باب الاساءة فيسر لاهل اللغة والنحو ان يدسوا في اقوال الشعراء ما يشاءون !

وشق الفرزدق بفنه طريقاً الى التجديد فتوسع في مصنوعات الناس فقال في وصف مركب شراعي حمله في الدجلة :

وراحلة قد عودوني ركوبها ... وما كنت ركاباً لها حين ترحل
قوائمها ايدي الرجال اذا انتحت ... وتحمل من فيها قعوداً وتحمل
اذا ما تلقتها الاواذي سقها ... لها جؤجؤ لا يستريح وكلكل
اذا رفعوا فيها الشراع كانها ... قلوص نعام او ظليم شمردل

ولو لم يكن للفرزدق بعد هذا الا وصف الذئب لكفاه فخراً فنياً يسبق به الشعراء جميعاً لا استثني سابقاً ولا لاحقاً ، فقد استطاع الفرزدق في قطعته القصيرة في وصف الذئب او لقائه أن يصور للشجاعة صورة عزت على الشعراء قاطبة واخص الذين قلدوه من بعده كالبحتري والشريف الرضي، اما البحتري فقد صور الشجاعة في قتل الذئب حين لقيه ونهج سبيله الشريف الرضي — على ما بينهما من اختلاف فني — وقد غالى البحتري في شجاعته فخرج الى التهور والشماتة بعدوه اذ قام بعد مقتل الذئب يجمع عليه الحصا ويشتويه ، من ذلك حيث يقول :

فخر وقد اوردته منهل الردى ... على ظمأ لو انه عذب المورد
وقمت فجمعت الحصا فاشتويته ... عليه وللرمضاء من تحته وقد
ونلت خسيساً منه ثم تركته ... واقلعت عنه وهو منعفر فرد

وكذلك كان الشريف الرضي الا انه لم يخرج الى حد التهور فترك قرنه بعد مقتله ، وذلك حيث يقول :

ولما عوى والرمل بيني وبينه ... تيقن صحبي أنه غير راجع
تأوب والظلماء تضرب وجهه ... الينا باذيال الرياح الزعازع
له الويل مستطعم عاد طعمة ... لقوم عجال بالقسي النوازع

اما الفرزدق — وقد سبقهما الى هذا الفن — فقد صور الشجاعة بغير ما صوراها، صورها في رباطة الجأش حين اللقاء بل السعي اليه ، ثم مزجها بالحذر من الذئب مخافة ان يُرمى بالطيش والحمق ثم مزج بين الشجاعة والحذر والجود مزجاً لم يسع احداً من المبدعين ان يمزجه مثله، فاضاف الذئب الى طعامه ثم حذره عاقبة الغدر فامسك له السيف ثم مد الزاد بينه وبينه مرة في ضوء ومرة في ظلام حتى اذا شبع الذئب تركه الفرزدق يمضي لشانه ، وذلك حيث يقول .

فلما دنا قلت ادن دونك إنني ... وإياك في زادي لمشتركان
وبت أقد الزاد بيني وبينه ... على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تكشر ضاحكا ... وقائم سيفي في يدي بمكان
تعش فان عاهدتني لا تخونني ... نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

واروع من هذا كله ان الفرزدق كانما فطن الى انه ما من واحد يفعل مثل ما فعله هو مع الذئب ، فافرد نفسه بهذا المزيج من الشجاعة والحذر والكرم ، فلما فصل عنه الذئب نصحه بالا يلقى احداً غيره لانه لا احد مثل الفرزدق فقال له :

ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى ... رماك بسهم او شباة سنان

ومن عجب الا يفطن احد بعده الى هذا التصوير للشجاعة النادرة ، وكأن الفرزدق عنى البحتري والرضي وامثالهما بما كان قد قال .

وقد اوقدت المهاجاة خاطر الفرزدق فظن ما يجول بخاطر اعدائه ثم صور تلك الخواطر وكساها أثوابها من الالفاظ ثم كان من خصومه ما ظنه وما كساه بتمامه ، وهو اغرب ما وصل الينا من اخبار الفرزدق واخبار ذلك العصر كله .

حكوا ان سليمان بن عبد الملك اتي باسارى فدخلوا عليه والفرزدق في مجلسه ، وقد جاء هؤلاء الاسارى ليُضربوا فاشار سليمان على الفرزدق ان يضرب واحداً منهم واشار عليه بسيف كليل فابى الفرزدق الا ان يضرب بسيفه هو فاذن له، وامسك الفرزدق بسيفه سيف ابي رغوان سيف مجاشع — كما كان يسمى السيف — ثم ضرب به الاسير فلم يصبه ونبا به السيف ، فحزن الفرزدق واعتذر عن نبوته بشعر مرتجل، ولكنه تصور جريراً قد بلغه الخبر فقال : كأني بجرير قد هجاني فقال :

بسيف ابي رغوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

فلما قام الفرزدق وانصرف جاء جرير فخبروه الخبر ولم ينشدوه ما قال الفرزدق فانشأ يهجو الفرزدق ويقول :

بسيف ابي رغوان سيف مجاشع . . .

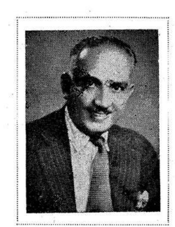
فقال البيت بتمامه ، وهو وإن دل على اتقاد خاطر جرير فان دلالته على اتقاد خاطر الفرزدق اكثر لانه سبق اليه فتصور موقف جرير منه ، وفي مثل هذا اخبار كثيرة للشاعرين .

وبعد ، فان كل مضلة الى هداية ، وكل معسفة الى راحة ، ومن لم يخمد فيه ضمير سورة الشر اخمدها الدهر ، وان وسع الغواية العمر ضيق عليها القبر ، فلما كبرت سن الفرزدق حتى رجع من سورة الكبر والتغطرس الى التوبة والخمود والتنسك فخاض بفنه مخاض الشكوى والمتاب فقال :

تهون عليك نفسك وهو أدنى ... نفسك عند خالقها ثوابا
فمن يمن عليك النصر يكذب ... سوى الله الذي رفع السحابا
تفرد بالبلاء عليك رب ... اذا ناداه مختشع أجابا

[انتهى]

— عبد العزيز سيد الاهل



اخت شيرين

على هامش الحرب الثالثة

☆

مهداة الى روح فلورنس نايتنجل

لابراهيم العريض

في محفلٍ خُصّ للذكرى، فما وقعَتْ عينٌ على مثله في سالف العُصرِ
امّوا اليه زَرافاتٍ، فأفردَهم ما حلّ في الصدر الا كلّ ذي خطر
يا للوجوهِ .. فلا تُحصى لكثرتها كأنما بُعثت عيناً .. بلا أثر
ما أبلغ الصمت! فالآذانُ مقبلةٌ كي لا تحيف بتصريح لمبتهر
لا تلبثُ العينُ «فالأنوارُ ساطعةٌ على الأرائك» ان تعيى عن النظر
تُواكبُ السرجُ رُكناً من منصتهِ كأنها ـ مثلهم ـ تصغي على حذر
وقال قائلهم في عُرض خطبته وطرفه يتحرّى أوجه الحُضر:
«لقد جرينا الى غاياتنا بخطىً كأنما جنّحتها عِزّةَ القدَر»
«شبابنا همة كالليل طاغية وشيبنا حكمة غرّاء كالقمر»
«تحالفوا، ليس غير الصدق رائدهم فكلل الله هذا الحلف بالظفر»
«في السلم والحرب... لا ينفكّ بيرقنا
يختال بالاسد والأشبال أشباها»

***

من أتى الناس ضاحكاً.. لأذاهم
ضحكوا كلهم معهْ
بينما لو بكى بكى لأساهم
وحده .. يا لها ضعه!

دوّى الهتافُ بارجاء المكانِ، فكم يدٍ بمنديلها تهوي وترتفعُ
كأنّ أجنحة رفّتْ على عجل في سربها لمئات الطير اذ تقع
وظلّ صاحبهم من ركن مجلسه تبرّهُ الناسُ شكراً وهو يصطنع
أكان يشعر في أضلاعه وهجاً ان استطاع فأعداهم.. فهمْ شرَع
وأسفرتْ بينهم ـ كالفجر ـ آنسة فسادَ صمتٌ، كأن الليل ممتقع
قالت وفي صوتها من بحّة أثرٌ ما أروع الحسن إذ ينتابه الجزع:
«يا رحمةً لشبابٍ خرّ في دمه لقطرة منه بالدنيا وما تسَع»
«سلِ الشهيد أوارى القومُ جثته فانه معهم روحاً وقد رجعوا»
«أما فداهم بأرواحٍ زكت أرجاً أما وقاهم بأجساد لها طمع»
«ماقدّروا الصباه ـ اليوم ـ تضحية الا لأن هداها ـ في غد ـ شَمَم»
«فنضّرت بشذى الخشخاش مرقدهُ
أناملٌ بان عنا وهو يهواها»

***

لحيعتْ في حبيبها .. ذاتُ منّ
فهي تذري شئونها
أيّ دنياً وطيبها .. في التمني ..
أسدل الستر دونها

تناولتْ يد شيرين الوقائع من غلافها، وهي بين الحزن والقلقِ
فما رأت غير ألفاظٍ منمقة تنكرت لمعانيها على الورق
تظل تنفث فيها الروح نظرتها فتستحيل رؤى، توفي على الغرق
كأنما شاطرتها الحزن شمعتها فتلك أدمعها تجري على نسق
فأجفلتْ من لظاها عين والهة أليس تحدق في الدنيا بلا حدَق
ان لا تحسّ بأذنيها على ولهٍ في وحشة النور. الا شهقة الغسق
«يا ليل! سل عن بكائي فيك ساهرة تلك النجوم التي تزهو على الافق
كم من خلال دموعي بتّ أرقبها كأن آخرها في حمرة الشفق
وكم تخيلت فجري ضوء غرته أراه يسفر لي، والفجر في ألق
حتى شرقت بدمعي في ترقبه ما هكذا كنت تجزيني على الحرق»

« أهكذا اليوم تنسى كل ما همست
به نجومك لي، اذ كنت ارعاها ؟ »
بثّ في الشعر وجده، ثم نادى :
خنت يا ليل ! بلبلك
فرعى الليل عهده، وتفادى
قوله بالذي ملك

وافى البريد .. وما عادت لحسرتها تلقي له البال أياماً .. وأياما
حتى استثار اهتمام الخود في رزم خط الفقيد، فريت منه أحلاما
كتاب شعرٍ باوراق معطرة في خير حالته رصفاً وإحكاما
حوى الفرائد من شتى مصادرها كأنما ضمها من باسمها هاما
او انه اختارها من كل دالية تزهو بكرمتها حتى زكت جاما
يا ويحها اذ هوت فوق اسم عاشقها تزيده قبلاً .. حباً وتهياما
« شيرين ! لو رشفت عيناك خمرها
من هذه الكأس ـ مثلي ـ نخب من ناما
فما تملى الندامى صبح ليلتهم ولا عدا فجرها المساقون الهاما »
فسحت دمعة حال النشيج بها وأرسلت في القوافي الطرف إنعاما
«هل جدّ للنفس شيء لم تُسلِّم به هذي البلابل فيما يحنّ أنغاما»

« ام بينها من أحست في تفجعها
وجداً كوجدي، فلم تفتح به فاها ! »
ذكريات .. تمر بي منذ أمسِ
ليت للفجر نورها

ايه يا نفس ! جربي فضل كأسي
فهي تعطي سرورها

ضمّت الى صدرها الديوان ساهمة فظل يشكو لنهديها غرام صدرِ
ومثله هي، كانت في تململها تُلقي اليه بنجوى حبها الأبدي :
«لا أطلب البرء بعد اليوم من كمدي فقد تغلغل هذا السهم في كبدي
حتى أحس شظاه ـ كلما خفقت للقلب خافقة تحت الحشا ـ بيدي
يظل مختلجاً بين الضلوع، فلو ضمدته زاد ايلاماً على الضمد
يا مصمي القلب! والآمال ذابلة فازهرت بالدم الجاري.. ولم تكد
رفقاً على نزعه مني، فقد علقت به بقية مـا أبقيته لغدي
من كل امنية تزهو بحسرتها حتى كأنهما روحان في جسدي
لا تترك القلب مفتوحاً بقرحته فثم حبك .. لم ينقص ولم يزد
او خذ مع السهم افلاذاً مقطعة فلستُ بعدك ابقيها الى احد»

« فما البقاء لنفس مات سائرها
لما حبست على منعاك نجواها »
لا تقل : ما رأيتها، فهي معنىً
غاب عنا مكانها
جنتي قد أتيتها، حيث تعنى
بجريح حسانها

ولم تُرَ قواخت شيرين الحياة لقى فجندت نفسها في خدمة الوطن
تأسو الجراح وتوحي بابتسامتها معنى الى كل ذي شوق وذي شجنِ
كم مرة عجلوها وهي عائدة فبادرت بخطى خضراء في المحن
يدعو السقيم وبالآنات دعوته فتستجيب له بالماء ... واللبن
ما كان يذهلها عنه الضياء . ولا اذا دجا الليل لانت منه بالوسن
كأنما وجدوا فيها رضيعتهم او انها لقيت فيهم أخاً وبني ..
تلقى المصائب لا تنفك راحتها تجري عليها برفق جرية الزمن
ما لامست بيديها القبح مشفقة الا وأصبح كالممدود في الحسن
فروحها روح مقدام وان فُطرت من جسمها في تحاشيه على جبن
كأنها خلقت ـ لولا انوثتها ـ من جوهر النور لا من نطفة البدن
ولم تزل هكذا ترعاهم أبداً
حتى تمنوا لو ان الكل مولاها
قلت للحرب : أين أبناء صدق
صدقهم من غرورها .

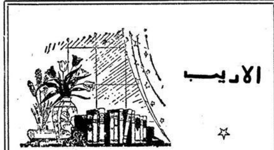
فاستمرت ـ ولم تجبني بنطق ـ
في لظى من سعيرها

عاد الجنود الى الميدان في صيدٍ محلين بما يكفي من الزاد
لم ينطق السيف الا عن بسالتهم ما سلّه فارس منهم لاغماد
حتى يحقق في الجُلّى إليته ويستقل ببشراها الى النادي
عادوا.. فما جهلتهم عين ثاكلة ـ غداة مروا ـ ولا فاهت بـ : يا فادي!
اذا رأتهم رأت فيهم رزيتها تعاد ما بين ابراق وارعاد
فتستحيل أغانيها موردة كم غص منها اذا غنى بها الشادي
عادوا.. فاملى على التاريخ محفلهم: «أشهد! فهم نفس أشبالي وآسادي
كأن واحدهم يسعى الى غده بما تسربله من أمسي الغادي»
ولم يعد لذويهم خلفهم شغل الا التحدث عن جمع واعداد
كم ظل يوري حماس الشعب زحفهم في موكب الموت من وادٍ الى واد

وكم تمنى الذي أعيته جمرته
لو انه معهم في الحرب أذكاها
يا سراباً .. بعين رائيه حق
تحت مجلى سمائه ..
كم من الحر والظمأ رام خلق
عبثاً بعض مائه

ولم تزل زمر تغلي مراجلها يغرهم بالاماني كل جلاد
فلا يبالون.. هل ذاقوا بانفسهم حميمها ام سقوه في الوغى الصادي
وكل سلواهم في المجد أن لهم نوراً سيخلد ، هم منه بمرصاد
وعاثر براده سد ثغرتها ميتاً ، فعاش بها كالمشعل الهادي
وان في كل ارض حررت ، وطناً لكل حر ، فلا باغ ولا عاد
وروع الخلق في الدنيا بقنبلة ذرية ، القيت يوماً على الوادي
خلقت فوق دنيا الناس صاعدة مطلة من دخان وقدها باد
كأنما انفجرت آمالهم معها لا ظل قافلة منها ولا حادي
ساد السكون على انحاء مجزرة أين الحياة ، فترثي حظها العادي ؟
ملءُ الحزون وجوه في تطلعها كأنما ضمها حفل لميعاد
تصيخ في الليل ، لكن ليس من أحد
يحدث الصمت عن حرب ومعناها !!

البحرين — ابراهيم العريض



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا
او ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون	الادارة : ٤٧ ـ ٩٢ المنزل : ٣٧ ـ ٤٨	Direct. : 92 - 47 Dcle. : 48 - 37 Tél.

☆

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

قصة

العتال

بقلم صميم الشريف

مين خرج «ابو صياح»* من بيته ذلك الصباح متجهاً نحو السوق الذي اعتاد الوقوف في زواياه الزاخرة بالناس الحافلة بالاعمال . كان يفكر في عملائه الذين بدأوا يفرون من وجهه ، ويتجنبون طريقه ، ويتململون منه ومن الحاحه في طلب العمل ، كما انه كان يفكر في منافسه الحمال الشاب « عبود » الذي اقتحم عليه عمله وسلبه زبائنه،ولقد شعر ابو صياح بوطأة عبود عليه منذ ستة اشهر ، ولكنه لم يستطع شيئاً امام فتوة هذا الاخير وشبابه فتجلد بالصبر ، وعكف على عمله ، يؤديه على تفاهته باتقان .

ولفحت وجهه ريح الشتاء الباردة، فجذب قميصه المهلهل بيديه وجمعه نحو صدره ، ساتراً به ما ظهر منه ، ثم تمتم بينه وبين نفسه ، لعن الله هذا البرد ، انه يزيد في علتي ، وسقمي ، وفي ركود العمل ، لم اصطك من البرد مثل هذه السنة، وهذه الايام. كنت قبل سنوات لا احس او اشعر به ، ربما كان شتاء هذا العام اقسى من شتاء الاعوام الماضية ، ولكن ، لا .. يظهر ان للسن تأثيراً كبيراً في هذا ، لقد هرمت، شخت،هذه هي الحقيقة التي اخافها،وانفر من التفكير فيها.. انها تجعلني يائساً من كل شيء، انها ترهبني وتحيلني الى كتلة محطمة من الخوف من المستقبل المجهول المتربص لي .. اتراني لا اعي الشتاء؟ يجب ان اعمل..يجب ان ينقضي هذا الشتاء اللعين الذي يزيد في آلام ظهري ومفاصلي المبرحة التي لا تعاودني الا في الايام الباردة .

ويمر به رجل فيندفع نحوه ضارعاً : حمال يا« بك »..حمال

ويضيع صوته مع قرقعة عجلات الطنابر المندفعة في السوق الطويل ، ويلتفت نحو آخرين منهمكين « بكيس » صائحاً :شيال يا « افنديه » .. فلا يكترثان له .

ويعود لافكاره الرتيبة ، وتزوغ عيناه برهة ، ويتصور حالته البائسة ، ويردد يبطء إذ يمر به آخر : عتال سيدي .. ويتلكأ الرجل قليلا ، فيسرع نحوه ابو صياح قائلا بصوت أبح: الى اين سعادة البك ؟ ؟

ـ كم تأخذ الى «المهاجرين(١)» ؟

فلمعت عينا أبي صياح وقال متفائلا : اربعون قرشاً سيدي

ـ ماذا ؟ اربعون قرشاً ، لا ، لا ، هذا كثير.. كثير جداً..

وتظاهر بالمسير فصاح ابو صياح : ماذا في نيتك ان تدفع ؟

فقال الرجل بدون مبالاة ـ ربع ليرة سورية فقط .. لا تجادلني .. لا تساومني ..

ربع ليرة فقط ، ماذا يقول هذا الانسان ؟ هل اصابه مس ؟ ام انه يحسب الدنيا في يسر ، او في « زمان اول » ؟؟ ربع ليرة لا غير .. وللمهاجرين .

ونظر الى الحقيبتين في ارتياع ، ولوى عنقه ، وهم بالمسير ، حين تذكر اولاده الجياع ، وزوجته المريضة ، فارتد يائسا ، وهرع نحو الحقيبتين،ورفع نظرات جامدة نحو الرجل المساوم، ثم هز رأسه،وارسلها على ظهره،وسار،متجهاً نحو«المهاجرين» بخطى وئيدة ، متعبة ، اعتاد عليها في الآونة الاخيرة،وهو يقول لنفسه : هذه الربع ليرة تكفي لشراء « كيلو » خبز ، بينما كان صاحب الحقيبتين يستحثه على الاسراع كأنه « دابة » لا تسير الا بالنخز والنعر.

ورجع ابو صياح الى هواجسه ، وافكاره ، وهي عادة تمكنت منه كلما أحس ان الطريق طويل، والحمل ثقيل ، فيضيع برهة بين آلامه وشقائه . وارتسمت على شفتيه ابتسامة شاحبة باهتة ، وهو يذكر سوق « العتيق » وسوق «الهال» وكيف نزل اليهما لاول مرة مع ابيه الذى كان يعمل حمالا فيهما فيساعده في مشاق الحياة ، وتكاليف اعبائها،وكيف استولى على مشاعره ألم عنيف ، لان اباه ابعده عن اولاد الحارة الذين كان يلعب معهم،ويلهو برفقتهم، وهو يذكر ايضاً أن اباه قال له:لقد غدوت رجلا ، وان من وجبات الرجل العمل في سبيل العيش .

وكان رأسه الصغير أصغر من ان يستوعب معنى العبارة التي قالها له والده حينذاك ، فانكب يساعده على العمل ، دون كلل او ملل فكان لا يعود الى داره الحقيرة الا منهوك الجسم، خائر القوى ، ولكنه مع الايام اعتاد هذا التعب ، والف ذاك الاعياء.

واستجمع ابو صياح شتات قواه المتلاشية، ثم بصق في راحتيه ، وحمل الحقيبتين من جديد وتابع سيره في صمت مجتازاً « الجسر الابيض(٢)» .

* قصة اذيعت من راديو دمشق .

(١) المهاجرين : مكان قصي يقع في اقصى شمالي غربي مدينة دمشق على سفح جبل قاسيون .

(٢) الجسر الأبيض : مكان يتوسط (المهاجرين) والأسواق الهامة .

وما كاد ينفذ السير ، حتى عادت ذاكرته تعمل بدورهـا ، وتحمله الى ماضيه البعيد ، لقد مـات ابوه ، وخلف له بعض الديون ، واصبح وحيداً في الحيـاة ، ومع هذا لم يترك عمله الرتيب في السوق « ولم يشعر بأسى نحو والده ، ولـكنه حزن كثيراً لوفاة امه ».

واحس بالوحدة القاسية تعضه بنأبها ، وبذكرى امه وابيه المرهقة تنالان من هدوئه وراحته، ولـكنه وجد عزاءه بالعمل، والعمل المتواصل ، وطمع في ان يكون حمال المنطقة المفضل ، ورأى ان فتوته وشبابه وحركته ستسهل له مهمته ، وستكفل له ذلك ، وسيجني المرابح الوفيرة ، ويستطيع حينذاك الزواج. لقد اوصاه والده قبل ان يموت خيراً بزملائه .

ـ ها .. ها .. تباً له من خرف .. اخرق ، أيحرم ابنه السعادة من اجل آخرين لا يمتون اليه بصلة ؟ حقاً ان والده ابله .. مهووس ، وهم .. جديرون بالرحمة والشفقة والمساعدة ولـكن هل يستطيع هؤلاء جميعاً ان يؤمنوا له زوجة .. زوجة وفية تسهر على راحته بعد اوبته من عمله الشاق .. جميعهم عندهم زوجات ، وجميعهم عندهم اولاد ، الا هو .. فلا يملك زوجة ، وليس عنده ولد ، فيجب ان يؤمن ذلك . بهذا كان يحدث نفسه ويمني قلبه ، حين مات ابوه .. الا ليته استمع لنصحه ..

وانتهى به المسير اخيراً الى المهاجرين فقبض اجرته، وتريث يجمع انفاسه اللاهثة ، وشعر بانه تعب ، مرهق ، فمسح العرق المتفصد من جبينه ، وجلس على رصيف الشارع لا يعبأ بالريح الباردة التي كانت تنخر في عظامه ، بآلامها التي لا تطاق .

ومرت به سيارة مسرعة ، ورأى الحافلة عن بعد، فانتعشت نفسه اذ خامرته الفكرة ، فوقف ينتظر قدومهـا كي تقله الى السوق . واقتربت الحافلة من بعيد حتى وقفت امامه تنفث لهاثها بفحيح كفحيح الافاعي .

واوشك ابو صياح على الركوب ، ولـكنه تراجع في اللحظة الاخيرة،فهو لم يشتغل حتى الظهيرة بغير ربع الليرة هذا فكيف يبدد منه سبعة قروش ونصف قرش لقاء ركوبه وراحته . ان امرأته مريضة تعاني الما لا يعرف سببه ، واولاده يتضورون جوعاً وبرداً فما عساهم يأكلون هذا المساء ، ان ابنه الاوسط عبد الغني اشتهى الخبز الممزوج « بالسمسم » منذ رآه عنـد جارهم « ابو علي » .

وافاق من تصوراته على ضجيج الحافلة وهي تبتعد وقـد تعلق في مؤخرتها عدد من الصبية .. هكذا كان يفعل في صباه حين كان يبتعد بحمله كثيراً عن المدينة فكان يتعلق في مؤخرتها ويراوغ « الـكمساري » ويزوغ منه دون ان يكترث بسلاطة لسانه وسبابه .. لو كان شاباً لاصبح الان في السوق ، يجاهد في سبيل الرزق .

ودلف الى شارع « ابو رمانه(۳) » وهو يحث خطاه مختصراً بذلك طريقه الطويل ومن جديد ضاع في غيبوبة عميقة، فترقرقت الدموع في عينيه .. فهو لم يستطع الزواج شاباً كما كان يأمل ، حين بدأ يزاحم زملاءه المسنين ، ولـكنه استطاع ذلك ، حين غـدا في الخمسين من عمره ، وحين تجمعت في كفه عشر ليرات ذهبية قدمها في نهاية الحرب التي ساعدته على جنيها الى «ابو محمد» مهراً لابنته .

وعاش فترة من الزمن ينعم بالسعادة ، ويرفل بحياة هادئة نسبياً ، كان يحلم بها منذ عشرين عاماً ، وهو رغم هذا كله كان يحس بالم ذاتي .. الم نفسي يقض مضجعه ، ويتعسه التفكير فيه ، كان يحس به دفيناً في اعماقه وقلبه ، مستعراً في عروقه ودمه ، انه يخاف هذا الشيب الموغل في عارضيه ، واحديداب ظهره وثقـل حركته ، وذلك التجعد المخيف الذي حفر في وجهه الاخاديد ، لقد فقد نشاطه ، فاستسلم لدبيب الـكبر الذي دب في جسده ، واستولى على اعضائه ، مخدراً جسمه ، واطرافه بالتعب السريع . ولـكن .. ما عساه يفعل وزوجه قد انجبت له اربعة اولاد ؟ وهي مريضة الان ، وليس معه لسد رمقه ورمق اولاده غير ربع الليرة الذي اشتغل به هذا الصباح .. لا شك ان هناك يداً غريبة تحاول ان تقبض روحه ، وان تهصر حياة عائلته ، وان تذيقه من الـكاس التي سقي منها غيره .. انه عبود .. عبود الشاب الذي يجيد كل عمل ، ويقوم بكل ما يطلب منه .. نعم انه عبود .. عبود .. ليس امامه الا العمـل ليكافح خطر الجوع الرهيب ، الجوع الـكافر ، هه ، لو كان وحيداً لهان الامر عليه ولـكن زوجه .. واولاده ؟

وارتسم في ذهنه المكدود بخطوط سريعة ، كيف كان يسخر في شبابه من زملائه المسنين البؤساء،وكيف كان يتحرش بهم ، ويتشاجر معهم لاتفه الاسباب ويتقاسم زبائنهم عنوة مع قلة من الحمالين الشباب ..

وجال الدمع في عينيه حين تذكر عتالا يدعى « كاسم » لم يغادر السوق رغم مضايقته له ، بعد ان اصبح عاجزاً فكان يقبع

(۳) أبو رمانة : شارع القصور والفيلات الفخمة والحدائق الغناء.

في ركن من اركانه لا يغـادره الا بين الحين والاخر ، فيدور ويحوم حـول المخازن، وبين المتاجر ، وجسده المتداعي يرتعد ، ويده الممدودة ترتجف ، وكان اذا اقترب منه بصق هذا في قحة مستفزاً عجزه ، ساخراً من استجدائه .

لو يعلم « كاسم » هذا الذي مات منذ زمن بعيد، كم هو الآن بحاجة للاستجداء مثله : كم هو الآن بحاجة لان يمد يده التي لا تطاوعه ، لانه لا يجسر على ذلك.. لا يجسر لانه يخاف التجربة ، ويانف من الصدقة .. الا ليت « عبوداً » الذي يزاحمه رزقه الان يعلم ما يخبيء له القدر هو الاخر .. ليته يعرف ويدرك اي عبود آخر سيظهر له لينافسه رزقه..هه..هه..

وطفرت الدموع من عينيه ، فبكى في صمت غاضب، وهو ينقل طرفه المبلل بين « الفيلات » الساخرة منه، والشوارع المنمقة العريضة، والحدائق الغنية باشجارها وورودها ومياهها وصر باسنـانه وهو يردد بينه وبين نفسه : اين هذه القصور من غرفتي الحقيرة في قبر عاتكة(٤) ؟ أين هذه الجنان من تلك الاكواخ القذرة التي تملأ ذلك الحي ؟ طرق معبدة.. نظيفة.. حدائق.. حياة.. بذخ.. ترف.. انوار.. كناسون يملؤون الشارع .. هه هه .. لو يعلم هؤلاء المترفون المتخمون كيف نعيش هناك ، ليتهم يعرفون كيف يتغسنا الظلام والفقر ، وتفتك بنـا الامراض والروائح العفنة الكريهة ، والمزابل المنتشرة بين البيوت ، والتي يحوم حولها بعض الصبية يفتشون فيهـا مع الكلاب والقطط عن بقايا الطعمة متفسخة فاسدة؟ يا الهي.. اني اكاد اقنط من رحمتك ..

(٤) قـبر عاتكة : زقاق المساكين وحي العمال والكادحين .

اني اكاد اجن..ثم اسرع في خطواته حتى ابتلعته زحمة الطريق.

ووصل الى سوق « العتيق (٥) » وتسكع امام بعض المتاجر وفتش ملياً عن صيد عبثاً ، فانتقل الى سوق « الهال » فجاب فيه عدة مرات سائلا العمل ، وكل يرده بلطف ، ويمنع عنه مغبة السؤال ، لكبر سنه وعجزه .

ووجد نفسه وقد آذنت الشمس بالمغيب واقفاً في جهة من السوق المذكور اشتهرت ببيع الاشياء العتيقة ينظر الى خزانة ضخمة ، وقد وقف حولها نفر غيره قليل من الناس بينهم «عبود» وانصت للجدل القائم بينه وبين آخر عرف فيه صاحب الخزانة، فادرك من احتدام المساومة ان « عبوداً » يصر لقاء حملها على اربع ليرات ، كما ايقن ان صاحب الخزانة لن يدفع اكثر من ليرتين . واقترب من الخزانة متفحصاً ثم تنهد : لو كان شاباً لحمل هذه الخزانة التي « يتدلل » عليها عبود بكل سهولة .

نعم لو كان فتياً لحملها ، ولأمن غائلة الجوع هـذا اليوم ، ولكنه اصبح عجوزاً..انه لا يستطيع ان يزحزحها من ارضها، ان يحركها من مكانها .. ولكن مهلا .. هل جرب ذلك ؟ هل حاوله قبلا ؟؟ لا .. لم يجرب او يحاول ذلك انما .. انما ذاك الطبيب .. طبيب الفقراء ، نصحه بالاحتراس من حمل الامتعة والاشياء الثقيلة .. ترى الا يخطىء الطبيب في فحصه وتقديره ؟ الا يخطىء لا سيما وهو ليس سوى طبيب للفقراء ، لا يهمه امرهم في كثير او قليل ..

ومشي بضع خطوات وهو يتحسس ربع الليرة اليتيم في جيبه وقد خفتت اصوات المساومة المضطرم اوارها بعد ان غادر عبود الحلبة متأكداً من ان صاحب الخزانة سيرجع اليه . واختمرت الفكرة براس ابي صياح ، ثم اقترب من صاحب الخزانة ببطء مبتدئاً الحديث .

...لم يدر « ابو صياح » كيف تمت المساومة بينه وبين صاحب الخزانة ، وكل ما يدركه ويعرفه انه قبض الليرتين المتفق عليهما سلفاً ، ثم بدأ يحزم الخزانة ، وساعده بعض المارة في رفعها على ظهره ، وما كادت تستقر عليه حتى شعر بثقلها يقصم ظهره ، ويسحق عظمه ، واحس بدوار ينتابه ، وبساقيه تخذلانه ، وومضت في مخيلته زوجه المريضة وقد افترشت «الحصيرة» الوحيدة في الغرفة وتراءى له طيف اولاده ينتظرون عودته باكين ، فاستمد القوة منهم ، وهب هبة واحدة كادت تودي بـه ، لولا ان بعض المتجمهرين حوله سندوا الخزانة ، وحفظوا له توازنه قبل ان يسير . وبدأ يسمع عبارات التشجيع :

ـ لقد رجع ابو صياح شاباً ..

ـ حقاً لقد كانوا يبخسونه حقه ..

ـ انهم لن يعتمدوا بعد الان على غيره ..

وسار الهوينا ، مزهواً ، تغمره نشوة الانتصار ، ويتمايل بحمله ببطء وينقل قدميه بتأن واحتراس، اتقنه واجاده بالممارسة. وانتابه ضيق شديد ، وانتفخت عروقه ، وضاق تنفسه ..

قليلا من الشجاعة يا « ابو صياح » .. قليلا من الصبر ، وستربح معركة يومك هذا ، هكذا كان يحدث نفسه ، كلما خطا خطوة او قطع شوطاً .

وشعر بعظام مفاصله وظهره تتفكك ، وتثاقل في مشيته ، ورأى حماراً ينهق ويأبى المسير ، ويعرقل سيره ، ومع فرقعة « كرباج » وتعالت قرقعة شديدة فوق الاحجار المرصوفة ، لم تكن غريبة عليه، تبين بعدها « كراجة » يجرها احد الحمالين. ليتها كانت له ، لحمل عليها الخزانة ، ولطار بها الى « بستان الرئيس » مسرعاً ، ولعاد بعد ذلك الى البيت حاملا معه قليلا من الخبز .. خبز « بسمسم » من اجل ابنه عبد الغني ،وعلاجاً لامرأته .. اجل ، علاجاً ، سيقول للصيدلي عن وجع امرأته ، وسيعطيه هذا الاخير الدواء الناجع كالمعتاد .. انه سيتأخر هذا المساء قليلا خلاف عادته ، وسينتظره الاولاد امام باب البيت محدقين في الاشباح الواهنة التي تعود كل يوم حاملة معها كفاح يومها .. سينتظرون كثيراً هذا المساء ، لانه سيكون آخر تلك الاشباح .

ورأى الانوار تتلألأ في الشارع .. لا شك ان زوجه تضيء الان المصباح .. لا ، لا يمكنها النهوض من فراشها الخشن اما هو فلن يستغرب عند عودته الظلام المخيم على كوخه المتهدم، ولن يرعشه البكاء طالما سيحمل في عودته الخبز ..

لعن الله هذا الطبيب الذي نصحه بعدم حمل الاشياء الثقيلة ، ان عدم حمله لها ، ولـّد هذه الاوجاع التي يحس بها الان قاسية شديدة .

وغدا في الطريق العام ، وصوته يهدر بين الحين والآخر « ظهرك ».. « اوعى ظهرك » « روح من قدامي يا عم » .. وهو يسمع طنيناً شديداً في اذنيه ، ودوياً صاخباً في رأسه ، واحس بالحبال تنغرز في جبهته ولحمه وذراعيه ، وشعر كأن شرايينه موشكة على الانفجار ، وبعظام ظهره تتفقع ومفاصله

(٥) سوق العتيق وسوق الهال : من الأسواق التجارية الرئيسية والهامة في دمشق .

كأن السوس ينخر فيها انه يسمع طقطقتها واضحة كضربات قلبه الشديدة .. تباً لهذا البرد ، امـا له من آخر ؟ الا تخفف هذه الرياح من وطأتها قليلا ؟ وتلفت حوله يائساً،ان صدره مكشوف، من هنا تسرب البرد الى اعضائه المقرورة .. كيف السبيل ليجمع قميصه ، ويستر به صدره ؟

وتريث يجمع أنفاسه قليلا ، ويستريح برهة ، وهم بالمسير من جديـد ولـكنه ادرك بان قدميه لا تساعدانه كأنهما تسمرتا ، وانهما تقاومانه بعنف ، واوشك على السقوط ، وارتجف جسمه وهو ينوء بحمله ، وتطلع باعياء وذهول ، واضطربت عينـاه القلقتان بين الناس دون اكتراث ، والتفت حوله كالمسعور : انه يعرف هذا الشارع .. اجل انه يعرفه جيداً .. ان فيه صيدلية تفتح ليلا .. انه متأكد من ذلك ..

وتنقلت نظراته بين الحائط المتهدم ، وواجهـات المخازن والمحلات ، وتشبثت بالحـاح بالصيدلية الـكبيرة القريبة من دار السينما : هذه هي .. وانبسطت قسمات وجهه .. من هنا سيشتري الدواء لامرأته ، يجب ان يسرع بحمله قبل ان يتأخر كثيراً .

وقليلا قليلا استطاع ان يزحزح قدميه.وان يمشي من جديد محترساً.ولـكن اما هذا الذي يسيل على جبينه ؟ لا شك أنه مرهق، لقد تعب كثيراً حتى سال جبينه عرقاً ، وتساقطت قطراته امامه، وانحدرت يبطء على ذقنه ، ولونه ؟ لمَ في هذه الدكنة القاتمة ؟ بل لمَ لونه .. احمر ؟؟ ماذا اتكون دمـاء ؟ لا يعتقد ذلك .. او ربما مزق الحبل جبهته ؟ وارتفع صوته ساخطاً: «اوعى ظهرك.. اوعى يا حبوب .. يا اخونا روح من الدرب » ..

وعاد الى هواجسه : متى يصل البيت حاملا الدواء والخبز.. خبز « بسمسم » .. لعن الله هذه الدماء ، انها ما زالت تسيل بغزارة . كيف السبيل الى ايقافها ؟؟

وزاغت عيناه واختلطت عليه الامور ، وسمع دوي الحافلة خلفه ، ووصل طنين جرسهـا الى سمعه واهناً ضعيفاً ، ثم غدا صاخباً قوياً ، فايقظه من ذهوله ، ورده الى نفسه ، وحاول ان يفسح لها طريقاً ، ولـكنه توقف حين سمع هدير « باص الشيخ محي الدين » وهو يمر بجانبه كالسهم ، وطاش صوابه من ابواق السيارات الصغيرة المتعاقبة ، وارعدته حركة السير غير الاعتيادية التي بدت فجأة ، واقلقه طنين الحافلة الملح ، وارتفع من بعيد صفير الشرطي ، وتراءى له قضيبا خط الحافلة يروحان ويجيئان وفق ترنحه بحمله الثقيل ، وهو ما زال يرى الدماء تتساقط منه كحبات المطر ، واضواء السيارات الخـاطفة ترعشه ، وتبهر عينيه ، وجرس الحافلة يطن بغيظ ، والشرطي عاد يصفر من جديد ، والسيارت آخذة بالمرور دون ان تعبأ به او تفسح له مجالا كي يمر ويرتاح من سائق الحـافلة الذي يضايقه بطنين جرسه ويسبه بصوت عال.وندت عن فيه لعنات اعتاد ان يقذفها كلما تضايق من شيء بغيض الى قلبه ، كريه الى نفسه .

وارتاحت اساريره في غمرة هذا الزحام وهذا الضجيج حين خفت حركة السير ، فأحب ان يستغـل فترة الهدوء التي شملته ، واسرع يجتـاز الشارع الى طرفه الآخر مبتعداً عن طريق الحافلة ، وفجأة ، فقد توازنه ، واضطرب في سيره ، ومال بحمله يمنة ويسرة ، ثم دفعه الثقل الى الامام فتعثر وانـكب على وجهه مستقبلا الارض وقد سقطت الخزانة الضخمة فوقه .

وصاح بعض المارة : الله ... الله « يجيرك » .. انقذوه .. « خلصوه » من تحت الخزانة..وتدافعت المناكب،وهرع الناس واحاطوا بالخزانة ، وقال قائل : الله يخرب « بيته » .. لقـد كسر المرآة .. « يبظهر ابن الحرام معهي قلبه ».. بينما ارتفع صوت آخر : مسكين .. يا له من تعس . منكود الحظ ..

وازدادت حركة المرور حدة،وازدحمت السيارات والعربات يزحم بعضها بعضاً ، وتعالى الصفير يطغى على اصوات السيارات الضجرة ، والحافلة ما زالت واقفة وقد تجمع خلفها خط طويل من الحافلات والسائق يضرب بقدمه جرس حـافلته بصخب . والفضاء يضج بالضوضاء ، وانوار السيارات تـكشف عن الحادث المروع والجسد الملتوي على بعضه لم يتحرك من تحت الخزانة .

واقترب الشرطي ، وجاءت عربة الاسعاف تنشر ولولتهـا الرهبة والقشعريرة في النفوس،وافسح الجمع المتجمهر لها الطريق فنقلت أبا صياح الى المستشفي .

وتفرق الناس كما تجمعوا ، واسرعت السيارات لا تلوي على شيء ، ومشت الحافلة والسائق مـا زال يلعن ويسب ، وعادت حركة السير كما كانت عليه قبلا الا من الفضول ، والاستغراب ، والعجب ، الذي كان يتملك المارة لوجود خزانة كبيرة محطمة ربضت في وسط الطريق بجانب بقعات ولطخات من الدماء .

أمر واحد هو الذي بدد دهشة الطبيب الشرعي حين وجد يد ابي صياح الواحدة مغلقة وقد ضمت اصابعها بعنف وشدة . اذ ما كاد يفتحها حتى وجد في راحته ليرتين وربع الليرة حفظت في إدارة المستشفى لمن يطالب بجثته ..

دمشق

صميم الشريف

عين الحبيب

✡

فيكَ منها حرقة القلب ولوعة الآهة
ورفة الهُدب ، وذل الضراعة
فيكَ منها ، الدلُّ يزهو على النسمات
وفتكُ اللحاظ حين ترنو غَنِجات
بوحها أنت ... يا عطر الرسالة ! !

***

سفحتك همسةً كطهر الصلاة
خجلى ، تدور على شفتيها
تدسها في الصمت حيرى
فتطل جذلى من ناظريها
أفاجأتها ـ يا عطر ـ بالنشوة سكرى
وطيف الحبيب يغفو على جفنيها ؟؟

***

جمد الحرف في رسالتها ومات الكلمة
وبقيت أنت ... يا عطر الرسالة
في نفحاتك نداآت ظِماء
وتعالٍ ، محطمُ الكبرياء
ودفقَ حنين ، وفجر سناء
واداء ، معجز الاداء

أتراك يا عطر ، سرقت سر البوح
من عينيها ؟
وتعلمت معنى الفوح ، من عطفيها ؟!

***

عن مباسم الورود وشفاه العذارى
جنت طيبك !
ومن الاوتار ، وانغامها السكارى
أعطت تلاوينك !
وعندما سفحتك ـ يا عطر ـ انفاسَ جنة
وألحانَ آهٍ مبحوحة الغُنة
أما حنت عليك شفتاها ؟
وباحت لك ، يا عطر ، بهواها ؟
وأسرّت في اذنيك نجواها ؟ :
« قل للحبيب الذي تجنّى
ونسي العهد فغاب عنّا
أنا ـ هنا ـ رسول الحبيب
فان غفت عنك عين الرقيب
كنتُ رقيبك » !

احمد سويد
من اسرة الجيل الملهم

نحو مسرح شعبي حقاً

بقلم هنريت داجو   ترجمة احمد عويدات

Vers un Théatre vraiment Populaire par Henriette Dagauld

تعد الأديبة الفرنسية هنريت داجو في طليعة النقاد المسرحيين بباريس وقد انتجت عدة مسرحيات عدا مقالاتها الأدبية التي تواصل نشرها في مختلف الصحف . وما من شك بان مسرحيتها : Le batard de dieu تعد من اجل مسرحيات الموسم . وموضوع هذه المسرحية مستقى من الميثولوجيا اليونانية . وهي ترمز بااللقيط الى هرقل الذي تقول الاسطورة اليونانية بانه نصف اله ونصف انسان !

ولدى الصديقة الأديبة مشاريع مسرحية كثيرة وهي الى جانب عملها في الاذاعة الفرنسية - بباريس الذي يستغرق منها جهداً كبيرا لا تنفك عن الانتاج والخلق . [ا.ع.]

بعد ان كانت اهداف الفن المسرحي في الاصل ذات طابع شعبي،ضاق نطاقه بشكل شاذ واصبح نوعاً من اللهو والتسلية ووقفاً على عدد صغير من النخبة المفكرة، او لنقل ببساطة على المثرين الارستقراطيين لينعموا بالمقاعد الوثيرة المريحة. ويعود ذلك الى تطور اجتماعي يبدو ظاهراً بوضوح في هندسة المسارح الحديثة التي اتخذت عن فن بناء المسرح الايطالي .

وليست هذه غاية المسرح الحقيقية ولا ابعاده الحقيقية ففي قاعات المشاهد اليوم نرى القوام المسرحي يفصل بين الممثلين ، هؤلاء الذين يقومون بادوارهم ويتكلمون بلسان الاشخاص وبين المتفرجين الصامتين وغالباً ما يكون هؤلاء هادئين . واذن فان ما يعزز المسرح ليكون جديراً برسالته هو ان يتعاون الجمهور اولا مع الممثلين حتى يصبح بين الفريقين انسجام تام عميق ، وهذا الانسجام يختلف في كل عرض تمثيلي عن الآخر حسب مستوى جمهور المشاهدين . فآثار المسرح الاولى في فرنسا كانت تسمى miatère وهذه الكلمة تأتي من لفظة لاتينية تعني حفلة دينية وبهذا المعنى فان اي عرض مسرحي هو حفلة دينية او تمجيد او طقس ديني يكون للمتفرج دوره الذي يقوم به .

هنريت داجو

ولعل القارىء يدرك حينئذ لماذا يجد المسرح مكانه المثالي

في الهواء الطلق حيث ان المتفرجين والممثلين يبدون كأنهم يعيشون معاً في بقعة واحدة لا يفصل فيما بينهم شيء حتى ولا الستار الحالي .

وهكذا فالمسرح اليوناني مع جوقته التي كانت تسمى Orchestra في قلب البناء هو من هذه الناحية نموذج لفن بناء المسرح . ولكننا نستطيع ان نذكر ايضاً المشهد المسرحي في عهد اليصابات اذ ان البروسنيوم proscenium [اي المكان الذي يدور عليه التمثيل] يتقدم داخل جمهور المتفرجين كمقدم الباخرة . وفي مثل هذه الابنية الشاسعة حيث تدور الدراما تحت وضح نور الشمس اذ ان النظارة تستطيع ان تشترك متأثرة بمجرى الرواية لان كلا من المتفرجين يشعر معها بوثاق من الاتصال يضمه للآخرين .

وليس المقصود بالطبع هو ادانة القاعات المغلقة او الاضواء الاصطناعية ولكن اذا ما اردنا مسرحاً خليقاً ان يقوم بدوره فيجب ان يعمل في هذه القاعات المغلقة على خلق الشروط التي تقرب كثيراً من شروط المسرح في الهواء الطلق، ويجب ابعاد الزخرف البيزنطي الذي يثقل جو المسرح ، والعودة الى البساطة السليمة . ولا شيء من مضاد لفكر المسرح الحقيقي كالتكلف المفرط في المظاهر ، هذا التكلف الذي يسود المسارح الصغيرة الانيقة حيث لا ينشد هنالك الا انتزاع الاعجاب اكثر من اثارة الانفعال والتأثر .

فاذا ما قبلت هذه الفكرة التي تبدو في ظاهرها ثورية [ولكنها ليست كذلك الا في الظاهر] فيبدو ان المسرح هو الشكل الفني المباشر والاكثر عالمية . فالاثارة التي تنجم عن المسرح تخلق بين الافراد مادة عاجلة خليقة بتوحيد جميع الافراد على اختلاف مشاربهم حول شعور واحد فينفتحون له بحواسهم ومشاعرهم لحظة من الزمن .

هذا هو الدور الذي يقوم عليه المسرح من الناحية الاجتماعية الكبرى . اذ ان دوره التربوي ليس الا ثانوياً وهو يقوم به بصورة حتمية في اي مكان حين يكون عامل توحد وتقارب وانسجام بين الناس .

ولهذا يجب ان يلمع المسرح في القرى البعيدة ، دون ان يكون وقفاً على المدن لأنه في المدن يحيد عن غايته فيجب ان ينتقل المسرح من قرية الى قرية كما بدأ في اول عهد اليونان على عربة Thespis او كما كان في عهد موليير العظيم اوكما هو الحال في فرق الشبان الممثلين الذين يتجولون في الارياف الفرنسية يمثلون حيث يستطيعون واحياناً في حالة بسيطة جداً ، في ساحة القرية او في اي مكان يجدون فيه جمهوراً جديداً ذا حساسية واقبال على المسرح. وكان يطلق على هؤلاء اسم Copieaux نسبة الى الممثل المسرحي الكبير Jacques Copeau الذي كان يرعاهم ويوجههم ، وقد حرف اسم كوبو الى كوبيو كما ترى .

لقد اجريت التجربة في فرنسا هذه الاعوام الاخيرة على نطاق واسع فكانت النتائج باهرة ومدهشة لأولئك الذين لم يفكروا ابداً بان المسرح هو ضرورة اجتماعية بقدر ما هي فنية وانه - اي المسرح - يلبي حاجة عميقة وقديمة جداً لدى الانسان . هذا هو مستقبل المسرح ، فاذا لم يدركها ، فقد يتعرض هذا الفن الى الهلاك خنقاً بين رواده الذين الفوه واعتادوا عليه . ولكن كل بلد يريد ان يثير من جديد هذه الآفاق الشاسعة التي من شأنها ان تعمل على مجد هذا الفن قد يقدر مقام المسرح وغايته ويصبح مضموناً معه ان يستخلص منه منافع ومحاسن لا تقدر سواء في الميدان الاجتماعي او في الميدان الفني . فكفاءة الجمهور واهليته هي ككفاءة الممثلين واهليتهم . وحين يعي اي شعب هذه الحقيقة يحق له حينئذ ان يعتز بانه يملك مسرحاً جديراً به .

باريس — احمد عويدات

الاستاذ أحمد عويدات

من وحي التطهير

☆

للامير صقر بن سلطان القاسمي

حاكم الشارقة وملحقاتها

•

الشارقة

☆

دع كل صوت فغير السيف اهذار فانه لدم الباغين هدّار
حتام صبرك والايام ما برحت ؟ تدعوك للثار فاسمع؟ انه الثار
حانت الى الغاية العظمى وكلّها نصر من الله ان الله قهار
يا ابن العروبة انت اليوم مأملها وركنها اذ دهتها اليوم اعصار
جرّد حسامك ما غير الحسام لها شاف وما غيره بالحق امار
فيمَ التهاون عهدي فيك يا ابن ابي ؟ عزيمة فيضها بالجد زخار
النار، أشعل لظاها لا يصدك عن وقيدها من بني الاشرار سمار
وعانق الموت تحظى بالخلود فمن، رام الحياة حمتها عنه اخطار
قبحاً لمن يرتضي عيش العبيد وفي ذبابة السيف ما يهوى ويختار
الى الوئام ـ الى القرآن مدرعاً بالعزم ان امام السير اثار
يا ابن الصحاري اعده لا تصدك عن اعادة الحق يوم الروع اشرار
ما حرر الشعب من ذل يكابده الا الوئام والا السيف والنار

***

يا ويحها بلد لم تفت لعنتها تردى الخصوم وسيف الظلم جوار
ويا لها نقمة تنصب مهلكة لم تنهها عن مدى تنويه اعذار
قل للطغاة افيقوا من سباتكم وعدلوا ما بقي ان ثمّ اعمار

***

بوركت بوركت يا جيش الخلاص ولا برحت تحدوك نحو المجد اطهار
طهرت يا جيش من رجس ومن درن شعباً بقاه على حال الونى عار

***

يا شعب مصر وان شطت وان بعدت بنا الديار فنحن الاهل والجار
قد مكنت لغة القرآن وحدتنا ، والدين والجذم والاخلاق والدار
فانشر جناحك في لطف ومرحمة واضمم به وطناً اشقاه جبار

القاص نجيب محفوظ في نظر المستشرق عبد الكريم جرمانوس

[ارسل المستشرق الكبير الدكتور عبد الكريم جرمانوس ، الاستاذ بجامعة بودابست ، رسالة الى القاص المصري المبدع الاستاذ نجيب محفوظ . ضمنها رأيه في بعض قصص هذا الكاتب الشاب . ويسر الأديب ان تنشر هذه الرسالة ، لتعبر عن شكرها لاولئك الأساتذة الاوروبيين ، الذين يعنون بدراسة ادبنا العربي ، ولنذكر بها ابناء هذه اللغة ، وتلفت انظارهم الى وجوب العناية بدراسة ادبنا الحديث]

ترجمة اهاب الازهرى

عزيزي

الاستاذ نجيب محفوظ :

ارسل الي صديقي الكبير محمود تيمور ، ثلاثة من كتبك ، تحمل اهداءك . وقد قرأتها بذلك الاهتمام البالغ الذي تثيره مثل هذه الكتب القيمة . واشعر ان من واجبي تقديم الشكر لك، على تلك المتعة التي خرجت بها من قراءة آثارك تلك.

ان قلة من الاوروبيين ، تستطيع قراءة كتبك ، وذلك لاختلاف اللغة اولا ، وبسبب تلك العزلة التي تفصل بين الامم ، في ايامنا هذه . اما انا، فاني اتأثر بهذه العزلة تأثيراً بالغاً . ولذا اشعر بالسعادة الغامرة ، عندما اتلقى كتاباً عربياً ، يهديه الي صديق استطاع تقدير الحالة التي انا فيها .

كان من حسن طالعي ، ان اعيش في القاهرة، منذ اثني عشر عاماً . وقد كونت لنفسي ، فكرة سطحية عابرة ، الى حد ما، عن حياة اخواني المسلمين. وقد قصرت النظر بحكم دراساتي واختباراتي العقلية ، على الحياة العربية القديمة ، وبسبب كوني اجنبياً ، لم اكن لادرك غير ما يطفو على السطح ، وكنت الى جانب ذلك ، مشبعاً بتلك الرغبة الرومنتيكية ، التي تغريني بان انظر الى كل ما هو شرقي ، بمنظار وردي .

ولكن كتبك الثلاثة هذه ، صورت لي الواقع الذي كنت افتقده ، وبالرغم من ان اضواء هذا الواقع الذي صورته كانت تبهرني في بعض الاحيان ، الا انني اشكرك على هذه الجرأة في قول الحق ، التي اهابت بك الى تصوير منابع الالم في المجتمع القاهري ، تدفعك رغبة مخلصة ، في تصحيح الاوضاع ، وتعلم افراد هذا المجتمع ، ليتجنبوا مواضع الانهيار والتعفن . وان اتجاهك الصادق نحو الاصلاح، ليظهر واضحاً جلياً في شخصياتك وفي تصرفاتهم .

لقد استمتعت بروايتك « خان الخليلي » لان لي بهذه المنطقة خبرة خاصة ، اذ كنت ارتاد شوارعها الضيقة ، ابحث فيها عن مظاهر الجمال، التي كانت تعمر بها الحياة القاهرية الجميلة . وقصتك هذه تكشف عن الحقيقة المؤلمة ، التي تختفي وراء ذلك المظهر الخارجي البراق . شبان فاسدون ، يرتكبون الفواحش في الفنادق ويتعاطون الحشيش ، فينهون حياتهم في الشقاء !! لعل في ذلك درساً يتعظ به كثير من ابناء القاهرة .

وملاحظاتك النفسية العميقة - التي يظهر فيها البحث الجدي - لا تظهر فيها طريقة كبار القصصيين الاوروبيين فحسب ، ولكن فيها ايضاً تفكير خاص ، وتفسير شخصي للنفس الانسانية ، وما يعتمل في داخلها من منازع ورغبات . وتتزاوج في قصصك ، النظرية الاوروبية الجديدة « ماركس وفرويد » مع فلسفة حكماء العرب القدامى ، وتتعاونان على القاء ضوء باهر يكشف عن نواحي الصراع في المجتمع المصري الحديث . لقد كنت ابحث منذ سنين طويلة ، عن قصص عربية، منتزعة من صميم الحياة الواقعية ولكنني كنت دائماً امنى بالاخفاق [لقد سبق الكتاب الاتراك الايرانيين والعرب في الادب القصصي] وكانت « خان الخليلي »

هي اول قصة عربية ، قراتها بتحمس ، وشعرت أثناء قراءتها بالمتعة والسرور .

اما « بداية ونهاية » فهي قصة حزينة متشائمة ، كما انها واقعية . انها الحياة الواقعية ، مرسومة باللغة العربية . وفيها نرى مزيجاً من الحب والانانية والتضحية والطموح الاعمى .انها مثل من الادب الاوروبي ، في جو اسلامي مصري . واتصال الشبان فيها ، بعضهم بالبعض الآخر ، لا يعكس خروجاً على تقاليد المجتمع الاسلامي . وشخصية « بهية » صورة نقية للحياء الاسلامي ، تتسم بالحياة والصدق ، ذلك الصدق الذي نلمسه عند الكتاب الاوروبيين المتقدمين ، حين يرسمون الفتاة العذراء الخجولة . وليست القصة تنميقاً رومانسياً ، ولكنها صورة تنبض بالحياة ، وبشقاء الجنس البشري وتطلعه الدائم نحو النجاح ، ووقوف الموت اخيراً في سبيله .

وكثيراً ما كنت اثناء قراءتي للقصة ، اصبح قائلا : ان ارواح اخواتي المسلمات ، المصفدة بالاغلال ، تتفجر هنا في مغامراتها ، انفجاراً لا يريحهن منه غير الموت . ولقد تأثرت اشد التأثر ، للمصير الذي آلت اليه « نفيسة » الساذجة البسيطة . و« حسني » ، شخصية متواضعة مضحية ، و« حسنية » شخصية انانية طموحة . ولكن اغرب الشخصيات واقواها اثراً في نفسي ، هي شخصية «حسن» بلا منازع . وحياة الخارجين عن القانون ، من ابناء القاهرة ، مرسومة ببراعة ، وشخصياتهم حية ، وليسوا مجرد دمى تنعكس صورها على الورق .

انها قصة واقعية ، ونحن معشر الاوروبيين ، يجب ان نصدق المؤلف المصري ، ونؤمن بان قصته حقيقية ومخلصة للواقع . وانها ليست من نسج الخيال . المصريون لم يعودوا اطفالا ، لقد شبوا عن الطواقهم ، وقطعوا المرحلة التي كانوا فيها مجرد اشياء يحرص السائحون على مشاهدتها ، حرصهم على مشاهدة الآثار في حوانيت البائعين . ويجب على المصريين الآن ، ان يروا الحياة على حقيقتها مهما كانت قاسية ، مرة ، حزينة ، فانها ، بالتشخيص المخلص ، لا تستعصي على العلاج .

اما « زقاق المدق » فهي قصة لديكنز ، كتبت باللغة العربية ، ووقعت حوادثها في القاهرة . انها عمل ادبي رائع يضارع اروع الآثار القصصية التي من هذا النوع . شخصياتها كشخصيات « ديكنز » تنضح حيوية وفكاهة ، وقد بلغت من الواقعية حداً يتيسر لنا معه التعرف اليها في الطريق ، وبين معارفنا واصدقائنا

وليس باستطاعة ديكنز ان يبدع لنا شخصية اكثر امتاعاً من « زيطة » صانع العاهات ، او الدكتور « بوشي » و« عباس الحلو » الحلاق ، قريب من قلوبنا قرب « رضوان الحسيني » اما « حميدة » فهي شخصية مخيفة ، ولكنها حقيقية واقعية .

وهل بعض الاوضاع والامكنة مثل مدرسة «فرج ابراهيم» ممكنة الوجود في القاهرة . ان مجرد التفكير فيها يبعث الرعب في النفوس .

ان الروائيين الذين انت منهم هم اطباء المجتمع ، فاستمر في علاج امراض المجتمع المصري ، بقلمك القوي ، الجريء وتقبل مني شكري القلبي ، على تلك المتعة التي حصلت عليها من قراءة كتبك . واقبل عذري في الكتابة باللغة الانجليزية ، ولكن اذا شرفتني بالرد ، فارجو ان تكتب بالعربية .

[المخلص : عبد الكريم جرمانوس]

القاهرة — الهاب الازهرى

ابناء الارض

بقلم عباس حسن

بالله

لا تبكي ! فلن تهبك الدموع سوى المزيد من الالم والمزيد من الهوان. ان الحياة يا رفيقتي لا تبخس شيئاً مثلما تبخس دموع البائسين ! سليني أنا ! فكل أيامي كانت دموعاً . كنت وكان البكاء ديدني وحليفي ، فلم تزدني الدموع إلا ضعفاً امام نفسي وامام الحياة .

أجل يا صغيرة ! اني انا الآخر مثلك ... لي قصة دامية ، عشتها ملوعاً مسحوقاً. قصة صاغها الظلم والجوع والقسوة والضياع! أحقاً تودين سماعها ؟ فليكن يا رفيقتي .. ولتعلمي بانك اول انسان أبوح له بدخيلتي وبمكنونات صدري .

هاك قصتي يا صغيرة ..

« كنت جندياً في جيش العاطلين. وكنت اواجه عدوان الحياة وحيداً وعاجزاً وذليلا. وكان احساسي بالعجز والمهانة ، يجرعني الغصص في روحي وفي بدني ويذيقني في كل لحظة لوعات الضحايا وعذاب الشهداء .

كانت ايامي دوامة من العذاب المتصل. وكان كل يوم منها يطالعني بوجه له بشاعة الخيانة وقساوة سفاك أثيم ويحمل إلي ألواناً من الالم والواناً من العذاب ، تواثبني في خبث مقيت ، كما يواثب الوحش ضحاياه ، وتمد نحوي مخالب نزقة شوهاء لا تني تنهشني في اصرار شرس يدمي خوافقي ويورثني أنيناً طاغياً موصولا تزفره كل جارحة في كياني الواهي الذليل .

كنت جائعاً ، وكنت شريداً ، وكنت اعيش وكأني دودة لا انسان ، ولم يكن لي امل في عطف قريب او حبيب .

تسألين اين اهلي اذن.. لم يكن لي اهل يا رفيقتي الا.. لست اقصد اني جئت من الهواء ، كما ولست ثمرة حب محرم ملعون.. لقد كان لي اهل يوماً ما.. ابي واختي، وكانا هما كل شيء في حياتي، بعد وفاة امي التي فارقتنا ولم ازل في العاشرة من عمري ولكني اصبحت ذات يوم ، واذا بي بلا اهل ، مثلك يا صغيرة، تنكرني الحياة وتشمت بي وتتغنى في تعذيبي وفي تلويع شبابي.

كان ابي الكهل الموغل في كهولته اسكافياً زرياً. وقد انتهى الى مهنته هذه ، إثر تخليه مرغماً عن مخزن الاحذية المتواضع الذي كان يملكه تحت ضغط المزاحمة الظالمة التي جابهته بها ، كما جابهت بها غيره من صناع المفرد، شركات الاحذية التي سيطرت على الاسواق بانتاجها الوافر الرخيص. فكان يقتعد طوال ايامه زاوية في جانب من الحي الفقير الذي سكناه بعد وفاة امي مكباً على اصلاح ما كان يأتيه به سكان الحي من احذية ونعال بليت وصارعها الفناء مرات ومرات .. وكان كسبه من عمله المضني ، نزراً يسيراً لا يكاد يسد حتى ثمن الخبز الذي كنا نتبلغ به وعليه نعيش !

وكنت انا اعمل كاتباً لدى احد تجار الخضروات باجر يومي صغير. وكان مستخدمي رجلا هو النذالة مجسمة، فكنت القى منه صنوف الاذى وانواع الاهانات.. ولكني كنت اتجاهل أذاه لي واخفض له جناحاً من الصبر والاحتمال، حرصاً على الاجر التافه الذي كنت احصل منه عليه والذي كان ييسر لي الحصول على بعض القوت لعائلتي ، ويعينني على مواصلة دراستي التي كنت في ذلك الوقت اجتاز مراحلها الثانوية في احدى مدارس المساء .



اما اختي التي تكبرني بسنتين ، فكانت شابة تتفجر جمالا وسحراً وعذوبة. ولولا تلك النظرة الكسيرة التي كانت تشيع في عينيها الصافيتين الحزينتين ، وذلك البؤس الذي كان

الحرمان يضفيه على هيئتها الكئيبة ، لحسبها الرائي اميرة ممن تتعفر تحت اقدامهن جباه الرجال! وكنت احبها حباً كالعبادة. وكان يدميني ويقتلني ان اراها فريسة ذلك الجدب الكافر الذي كان يستعبدنا ويستبد بنا ، بينما كان غيرها ينعم بمباهج الدنيا وبمتع الحياة. وكنت احياناً اذا ما طالعتني عيناها الجميلتان ولمحت فيهما ذلك الظمأ الصارخ الذي يفجره البلوغ، والذي لا ينى يبحث عن الرفيق.. عن الحبيب ، أحس بنوع من الخبال يهزني ويطويني ، فاهرب من البيت واهيم في الشوارع ملوعاً مطعوناً وكل ما في يصرخ : أما من مجير؟! وكانت الغرفة التي تأوينا باردة ظلماء ، أشبه بالجحر يضمها منزل هو الغار ، كان يحفل بعدد من امثالنا من ابناء الظلام ولا اذكر اننا ظفرنا ، ولا يوماً واحداً ، بطعام زاد عن الكفاف! فكنا ننام ابداً على جوع مقيم! ولكننا مع ذلك لم نكن لنجرأ على الشكوى لوثوقنا من عقمها ، ولم يكن امامنا الا ان نتقاسم الشظف والحرمان ، ونتحملها في جلد هو اليأس وفي صمت هو الاستسلام.

وهكذا كنا نطوي ايامنا ، وتالله ما كان اقساها!

وكنت قد اشرفت على السنة الاخيرة من دراستي الثانوية ، فكان ذلك باعثاً لي على بذل المزيد من الجهود لانهائها أملا في الظفر بالشهادة التي كانت هي حلمي الاوحد العظيم ، ووسيلتي للحصول على عمل محترم يكفل لي ولعائلتي التعسة قسطاً من العيش الكريم.

وتصرم العام الدراسي واصبحت الامتحانات النهائية على الابواب ، فشغلت بالتحضير لها والتهيؤ لاجتيازها وفي قلبي وفي نفسي آمال كبيرة عذاب. وكنت قد واظبت منذ بداية العام على ادخار شيء مما كنت احصل عليه من اجور عملي لاوفر رسم الدراسة الباهظ الذي كان يتحتم علي تسديده ليتسنى لي دخول الامتحان الذي كنت واثقاً من قدرتي على اجتيازه بنجاح ، وثوقي من ان الليل يعقبه نهار!

اجل يا رفيقتي! كنت واثقاً من ذلك اشد الوثوق.. لولا القدر الظالم الذي شاء ان يتدخل في اللحظة الاخيرة ، الحاسمة ، ليفسد علي خطتي.. فيعبث بمصيري ويقبر حلمي وآمالي! لا.. لم يسرق رسم الامتحان مني يا رفيقتي ، فقد كنت أصونه كما اصون كرامتي!.. ولكنه أبي يا صغيرة.. ابي التعس المسكين الذي اصيب فجأة بمرض طارىء ، ما كان ليشفى منه الا بعملية جراحية. ولقد فضلت انقاذه على انقاذ آمالي وصرفت كل ما ادخرته من اجور الدراسة على تلك العملية التي اجريت لابي فنمت عنه الموت.. الى حين!

ولك ان تتصوري ما انتابني حينذاك من لوعة والم طاغيين وانا اشهد انهيار آمالي وضياع فرصتي الذهبية التي انتظرتها طويلا وتحملت للوصول اليها صنوفاً من الشقاء ، وصنوفاً من الآلام.

وعندما حل اول ايام الامتحان ، ركبني جنون هائج محموم يعز علي ان اسحق واضيع.. ووهبني جنوني شجاعة آملة فانطلقت اطلب النجدة في من اعرفه من الناس ، ولكني ، واأسفاه ، لم الق سوى الصد والاعراض.

وفي غمرة ذلي وحسرتي ويأسي ، خطر لي ان اذهب الى ناظر المدرسة فاتوسل اليه ان يسمح لي بدخول الامتحان على ان ادفع له اجور الدراسة فيما بعد وفي اقرب فرصة ممكنة ، غير ان الرجل وقد تحجر قلبه وعميت عيناه الا عن رؤية نصوص انظمة مدرسته الجامدة ، سرعان ما جابهني بالرفض واعلمني ان لا سبيل الى ما اريد! ولم اصدق انني قد خبت. فتوسلت اليه الا يحرمني فرصتي وان يسعفني ولو ببعض المساعدة والعطف مما قد يبذلها لاي شحاذ طريد.. ولكنه لم يسمعني ، ولم يرحم بؤسي ولم يتزحزح عن رفضه ولم تلن له قناة..

وعندئذ.. وعندئذ يا صغيرتي احسست كأنما تلقيت الحكم باعدامي. ورأيت في الرجل الفظ الذي نطق بالحكم علي، عدواً لي وجلاداً وسيطرت علي رغبة ملحة في الانتقام منه بسفك دمه!

وان هي الا ومضة وجدتني فيها ارفع تمثالا برنزياً صغيراً كان يستقر على المكتب امامه وامامي فأهوي به على جبهته بكل ما في ضلوعي من حقد وبكل ما في رأسي من جنون ، فسقط على الارض وهو يصرخ ويستنجد والدم ينبثق من جرحه الفاغر في وفرة ويصبغ ارض الغرفة وبعض اثاثها بلونه القاني المثير ! وفي لحظات كنت أساق الى الزنزانات المظلمة وقد فقدت كل ارادة وماتت في كياني رغبة الحياة .

ولم يمت الرجل ، بل عوفي وشفي ، ولكنني اخذت طريقي الى السجن لاقضي في جحيمه سنتين عقاباً لي على ما جنته يدي ! وأبت المصائب الا ان تلاحقني الى سجني وكأنما بيني وبينها ثأر عتيق . فلم يكد يمضي اسبوع واحد في السجن حتى علمت ان ابي المسكين قد صرعته سكتة قلبية غادرة فاخمدت فيه الحياة . ولو كانت آلاف المدى قد تألبت على ذبحي ، ولو قد احرقت وانا حي .. لكان ذلك كله اهون علي من مناعي نعي ابي ! فلقد قفز امامي مصير اختي التي بقيت وليس لها سند من اهل ولا مال .. ماذا سيحل بها وهي اليتيمة الضعيفة الجائعة الحيرى ؟ اين تذهب والى من تلتجيء ، وكيف ستعيش ؟ وكدت اجن .

تحت وطأة هذه الخواطر الملعونة السوداء ! بل لقد جننت فعلا .. اذ ثار ثائري ، فمزقت ملابسي واخذت اركض في فناء السجن كالثور الهائج الجريح وانا اصرخ واعربد في حنق وحشي واهاجم كل من كنت اصادفه في طريقي من السجناء والحراس . ولم انكص عن ثورتي وهياجي الا حين تألب علي عدد عديد من حراس السجن فاشبعوني ضرباً مبرحاً اسلمني الى اغماء عميق ! وعندما جاءت اختي لزيارتي بعد وفاة أبي بايام لم استطع ان افوه امامها بكلمة .. فجلسنا صامتين . وحين انتهت مدة الزيارة المسموح بها ، اخبرتني في صوت منكسر مخنوق بان احدى العاملات قد رأفت بحالها ، ورضي رب العائلة ، وهو موظف ذو مكانة ، ان يقبلها خادمة في بيته لتعنى بشؤون طفليه . وودعتني وكل ما في نفسي يحدثني باني سوف لن اراها مرة اخرى وانها ستنسلخ من حياتي الى الابد !

ولقد صدقت احاديث نفسي ! فلم تعد بعد ذلك قط ، واختفت وضاعت وضاع معها كل خبر عنها وكل أثر لها ! ولست ادري كيف تحملت ذلك ولم تقتلني شكوكي ومخاوفي ولوعتي وهمومي . وانقضت السنتان وكأنهما دهران ، وخرجت من السجن وقد تعلمت كل حقارات المجتمع وكل دناءاته وخطاياه . ولم يكن لي هم سوى معرفة المصير الذي آلت اليه حياة اختي .

وبدأت اسأل وابحث واللهفة دليلي . وقصدت اول ماقصدت منزل تلك الاسرة التي كانت اختي قد اخبرتني بانها ستعمل خادمة لديها . فما راعني الا ورب الاسرة يخبرني في غطرسة صلفة رعناء ، بان اختي لم تبق في بيته سوى ايام معدودات وانه اضطر الى التخلي عنها نزولا عند رغبة زوجته التي نفرها منها سهومها ووجومها وبكاؤها المستديم . وتركت الرجل وانا احس كأني فريسة تقضم منها آلاف مؤلفة من افواه دقيقة نهمة لا تكل ولا تشبع . وعاودت البحث والسؤال في كل مكان ساقتني اليه لهفتي ، ولكني لم اجد أثراً ولم اسمع خبراً !

ولكم تمنيت بعد فشلي في العثور على اختي لو القى من يقول لي بانها ماتت .. ماتت ولم تضع ولم تسقط ، لكان قد انقذني من شكوكي التي كانت تعصف بي في حنق مرذول ويصخب عواؤها المخيف في اعماقي فيصكني صكاً يلهب خفقة الحياة في دمي وقلبي .. غير اني لم الق من يقول لي ذلك فيرحمني !

وطوقني يأسي واغرقني في خضم دموعي : بكيت وبكيت وبكت معي كل جارحة في كياني البائس المذبوح . ومرت ايامي ثقيلة رهيبة كانها نهر من رصاص اوجاء الجوع والتشرد والهوان

فاستبدلوني دموعاً وحببوا إلي الموت وادنوه مني .. فلم اجزع وهرعت اليه في رغبة محمومة عمياء !

واخترت للقائه ليلة حالكة ، قارسة البرد ، ذقت فيها الويلات من جوعي ومن عربي وعذابي . وحملت نفسي حملا الى النهر الكبير ، راجياً ان اجد في اعماقه الراحة التي ما عرفتها في دنياي . ولكني ما كدت اهم بلقاء الموت حتى صبت الريح القوية في اذني صوتاً ساخطاً يهدر في نقمة متأججة ويصيح : أأموت وعدوي يعيش ؟!

وصعقني الصوت الثائر وهز في حتى العظام . وتطلعت الى الناحية التي جاءني منها ، فلمحت اثنين من الملاحين كانا يتشاجران على ظهر سفينة صغيرة ، كانت راسية على مقربة من المكان الذي كنت واقفاً فيه .. لا شك ان احدهما هو صاحب الصوت الحاقد المسعور ...

أأموت وعدوي يعيش ؟! وصعت نفس هذا السؤال العاصف يهدر في دمي ! ويحي ! إني انا الآخر لي عدو جان خسيس ، هو المسؤول عن بؤسي ونكبتي وضياعي ، فكيف اهرب من الحياة واتركه يمعن فيها قتلا وتعذيباً . لا .. لا لن اموت ! لا بد لي من الحياة .. لا بد لي ان اعيش لاواجه عدوي فاتحداه وأثأر منه لشقائي وتعاستي !

تسألينني عن عدوي : من يكون ؟ ألا تعرفينه يا رفيقتي ؟! انه عدوك انت ايضاً ! انه المجتمع الفاسد الجاني .. انه عدوي !!

ومنذ تلك اللحظة التي تنبه فيها ثأري ، مارست انتقامي يا صغيرة مارسته في اندفاع مستهتر مخبول .. فسرقت واحتلت وقامرت ، وحللت لنفسي كل محرم . لقد مارست كل ما تعلمته في السجن ... وهكذا تحولت الى شيطان رجيم . فقد مات الانسان في ذاتي . قتله الجحود والظلم والخسف ، واستطال على اشلائه مارد من الشر والاثم ، أسلمته قيادي .

والليلة .. وقد اكتظت جيوبي بالمال الحرام ، شعرت بغريزتي تغلي ، فتورثني سعاراً محموماً الى احتضان جسم انثوي دافيء ، يمنح شبابي اللذة والمتع العذاب . ووجدتني مسوقاً الى هنا .. الى حي العزاء .. ثم اليك يا رفيقتي ...

ولكني ما كدت ادخل هذه الغرفة الشاحبة التي نجلس فيها الان ، وتطالعيني بهذا الشقاء الابرص الذي رأيته يلفك فيمسح على عينيك الخابيتين ويرسم على جبينك الباهت ووجنتيك الذابلتين البؤس والضنى والعذاب ، حتى مات نزقي وتبددت ثورة غريزتي وشملني نحوك احساس غامر بالرأفة والعطف والحب الانساني النبيل ، خيل لي معه ، وانا اواجهك ، اني انما اواجه اختي !

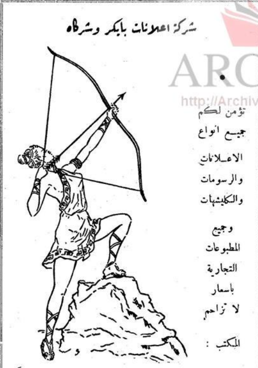
لقد استفاقت في انسانيتي بغتة فمن يدري يا صغيرة ؟! لربما لاقت اختي نفس المصير الانكد الذي لاقيته أنت . الم تكن وحيدة ومقطوعة ؟ ألم تكن ضعيفة وجائعة ومشردة ؟ لقد قلت لي ان الجوع هو الذي ساقك الى هذا المستنقع الآسن الذي يطفح بالشهوات الرخيصة العمياء .. افلا يكون قد ساق اختي ، وهي الجائعة مثلك ، الى مستنقع آخر في مكان ما من هذا التيه الرهيب الذي قدر لنا نحن ابناء الارض ان نضل في قفاره وفيافيه ؟!

اني لاراك تطلقين الآهات في حرقة ، وأرى شبح الدموع قد عاد يطل من عينيك مجدداً .

تعالي يا اخت .. قربي مني .. أريحي رأسك الصغير على صدري ، واصيخي السمع لدقات قلبي .. قلب هذا الانسان البائس احد ابناء الارض ...

إصغي يا اخت .. إصغي ؟ ...

البصرة - العراق **حسن عباس**



عدنا غرباء

سوفَ لا نلتقي إذا خبت النارُ ، ومات الهوى بقلبي المشوق
واذا ما مررتِ بي ، فغريبٌ صادفتـه ، غريبةٌ في الطريق
قد تقولين: كنتَ لي واحةً خضراءَ في مهمهي الجديبِ السحيق
غير أني أشيحُ عنك بوجهي ناسياً ذكريات حبٍ وثيق
منْ تكونينَ ، لست اعرفكِ الآن ، دعيني وفتشي عن عشيق
ثم يطويني الزحامُ ، وتبقينَ على الدربِ في عذابٍ ، وضيق
وتناديني ، ولا رجعَ إلا حشرجاتٌ من أمسك المسروق
وتقول الأقدار : كانا حبيبين ، أفاقا على صدى مخنوق
مثلا قصة الخطيئة في الارض ، ومرا مرور حلم طروق
ثم سارت ، وخلفته كطيرٍ ظلّ في عشه بغير رفيق
سوفَ أنساكِ مثلما قد تناسيتِ ، وان كنتِ بسمةً في شروقي
كل شيءٍ مصيره لزوالٍ كيف أرجو الخلود من مخلوق
ثم أمضي مع الظلام بلا قلب ، فمن حانة لوكر أنيق
تشرقُ الكأس في يدي وعليها من دمي حلةٌ بلون العقيق
فأحيل الديجور صبحاً وللكأس ، إذا عربدت وميض البروق
بينما أنتِ ، للذبول ، للندم المرّ ، وللعقم ، للفراغ السحيق
لا أبالي اذا تنادين : ـ عدْ لي فالضراعاتُ كفرتْ عن عقوقي
جفّ عنقود كرمتي ، وخبا النور بعيني ، وحالَ حتى بريقي
وشبابي الطري أذبله النوح ، وقـد جفت الدما في عروقي
أنتَ لي بهجةُ الحياة بدنياي ، واشراقة الربيع الوريق
سوفَ أمضي أعبُّ كأسي وأهدو فوقَ أطلال حبنا المسحوق
من تكونين لي اغربي ، لعن الله هوانا ، سممت حتى رحيقي
من تكونين ، أنت أفعى وهذي قطرات السموم تملأ ريقي
بضمادِ السلوان ، عصبت جرحي لا تثيري جراح حقدي العميق
ذكريات الهوى القديم توارتْ خلف ليل من الشكوك صفيق
ومضى الامسُ وانتهى كل ذكر رحم الله ذكر حبي العتيق

بغداد — عبد القادر رشيد الناصري



الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث

لانيس الخوري المقدسي ـ استاذ شرف للادب العربي في جامعة بيروت الاميركية ـ ٢٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات كلية العلوم والاداب في الجامعة الامريكية ببيروت

تحدثت في مقالي السابق* عن الاستاذ الجليل انيس الخوري المقدسي، وعرضت للجزء الاول من كتابه « الاتجاهات الادبية » ذلك الجزء الذي تناول فيه الاتجاه السياسي في الادب العربي الحديث.

والكتاب الذي بين يدي الان، هو تتمة السلسلة، وقد تناول المؤلف فيه الاتجاهات الاجتماعية والفكرية والفنية في ادبنا الحديث، وبهذا يكون قد انهى هذه السلسلة القيمة، التي اعدها المفتاح الاول لدراسة الادب الحديث دراسة عميقة واعية.

وعهدي بهذا الكتاب بعيد، يمتد الى ايام الطلب، حين كنت استمع الى شيخي الفاضل، وهو يحاضرنا في الموضوع. ولكن يده الصناع، ابت الا ان تتناول تلك المحاضرات، بالزيادة والحذف، والتقديم والتأخير، حتى تبلورت في صورتها النهائية التي نطالعها اليوم، فانتظمت الجزئيات المنثورة، في سلسلة متصلة واضحة المعالم بينة الحدود، وصفة القلق هذه صفة حميدة، يتصف بها استاذنا المقدسي، كما يتصف بها كل عالم يبحث عن الحقيقة، بمثابرة واخلاص. وعهدنا به، لا يطمئن الى نتيجة من النتائج، الا بعد ان يقلبها على نار الشك العلمي، حتى تنصهر ويخلص منها الجوهر الممتاز، وتنقى الشوائب. قل مثل هذا في كتبه، التي يتناولها في كل طبعة جديدة بالتنقيح والاضافة والحذف، نتيجة لتفكيره الدائم في الموضوعات التي يدرسها، ولاطلاعه المتصل، على كل ما يمت الى ابحاثه بصلة، او ينتمي اليها بسبب من الاسباب.

ومحك هذه الشخصية العلمية القلقة في بحثها عن الحقيقة، هو كتاب اليوم، الذي شهدنا تردد المؤلف في اخراجه، سنوات طوالا ـ لعل جذورها البعيدة، تمتد الى سنة ١٩٢٣، كما ذكرنا سابقاً ـ حتى اتخذ هذا الشكل الذي ساعرض له الان.

***

الاتجاه الاجتماعي: وهو الاتجاه الثاني في هذه السلسلة، ويتناول النهضة الاجتماعية في العالم العربي، وما ينعكس عنها من آثار ادبية. وقد عرضه المؤلف تحت الابواب الآتية:

- اهتمام الادب بالدعوة الى الحياة الجديدة، حياة العلم والحضارة.
- الحملة على المفاسد الناشئة عن التطرف في الحياة الحضرية.
- العطف على الطبقة البائسة في المجتمع.
- مناصرة القضية النسائية.

وألحق المؤلف بهذه الابواب فصلا تناول فيه الادب المهجري، وعرض للنزعات النفسية فيه، ولخصها في حب الحرية بمعناها الواسع ـ الذي يشمل الحرية الوطنية والدينية واللغوية ـ وفي الحنين الى الشرق. وكنا نؤثر ان ينثر هذا الفصل في الاتجاهات الادبية المختلفة، اذ لا نرى مبرراً قوياً لوجوده منفصلا هنا، اللهم الا اذا رمى المؤلف بذلك، الى تمييز المدرسة المهجرية، وفصلها عن جسم الادب العربي العام، بما تختص به من الظروف الاجتماعية، والخصائص الفنية والموضوعية، وبما لها من اثر واضح في توجيه النزعات والتيارات الفنية في الادب الحديث.

الاتجاه الى التأمل الفكري: وقد تحدث المؤلف فيه، عن التفكير الجديد في الحياة الروحية ـ وما يبرز في خلال ذلك من مسايرة للعلم الحديث، وايمان بقيمة الحياة. ثم تحدث عن التفسير الجديد للغيبيات، وعن الالتفات الى المعنويات والتأمل في المجردات. وعرض لموقف الادب الحديث من فكرتي

الاستاذ محمد يوسف نجم



* نشر في الاديب عدد يناير ١٩٥٣

ثم وقف وقفة طويلة ممتعة ، على التفات هذا الادب ، الى الريف والطبيعة ، ونظره اليهما نظراً معنوياً تأملياً ، تختلط فيه صور المرئيات ، بالعواطف الفردية والجماعية ، فينعكس اثر كل ذلك في تأملات فكرية عميقة . اما الريف ، فقد وقف عليه الادب الحديث ، فوصفه ، وصور لنا اشفاقه عليه وحنينه اليه . اما الطبيعة ، فان هذا الادب يصورها لنا ذاتاً حية وروحاً مرفرفة ، يخاطبها ويناجيها ويبادلها الافكار والعواطف .

الاتجاه الفني : ويغادر المؤلف هذا الحديث العذب الشهي ، الى الاتجاه الفني ، فيتحدث عن اساليب الكتابة والنظم ، وما طرأ عليها من تطور في عصرنا الحاضر . ويبين ما كان للغرب من أثر في ادبنا ، ذلك الأثر الذي تسرب اليه عن طريق الترجمة اولا ، وعن طريق الاطلاع المباشر ثانياً . وفي حديثه عن الترجمة ، قدم امثلة من الترجمات المتقدمة في الشعر والنثر ، ثم تابع المسير حتى وصل بنا الى الفترة المعاصرة ، ثم لخص أثر هذا الاتصال في النثر ، حيث تجدد الاسلوب الانشائي ، وتطورت الفنون الكتابية ، ثم في الشعر ، حيث عمد الشعراء الى التصميم الفكري ، او المحافظة على الوحدة في القصيدة ، بحيث ينتظمها موضوع واحد ، او تبرز من خلالها صورة سوية تامة . وحيث برز التسامي الخيالي او توخي الروعة البيانية ، وحرية الاخراج ، اي التفنن في اساليب التعبير . وشرح المؤلف هذه الظواهر ، فتحدث عن الطرف الثاني في هذه المبادلة ، اي عن اثر الشرق في الغرب ، في القديم والحديث ، ثم عرض لتطور الاسلوب الانشائي ، من الطريقة القديمة المتكلفة الحاوية ، التي ظهرت في القرن الماضي ومطلع هذا القرن ، الى الطريقة الجديدة ، التي تعرض الموضوع في حلته المناسبة . وتحدث بعد ذلك عن تطور الفنون الكتابية فعرض للقصة والرواية والمسرحية والسيرة والخطابة .

هذا في النثر ، اما الشعر ، فقد استأثر من عناية المؤلف وجهده بالنصيب الاوفى ، فاكثر من الامثلة ، وحرص على الاحاطة بالفنون المختلفة ، والالوان المتباينة . واختتم كتابه بحديث طريف عن الادب الشعبي وفنونه .

هذا عرض سريع لمحتويات هذا الكتاب القيم ، توخينا فيه الدقة مع الايجاز . وننتقل بعد هذا الى تقديرنا للكتاب .

يخرج الدارس من هذا الكتاب ، بصورة لشخصية المؤلف العلمية واضحة جلية . ومن أهم خطوط هذه الصورة :

- سعة الاطلاع على الادب العربي ، قديمه وحديثه .
- المثابرة والاخلاص في دراسة النصوص وتفهمها واستنطاقها .
- نفاذ النظرة وعمق التفكير
- المنطقية في البحث والاستنتاج والمقارنة والتعليل .

وهذه صفات لا يعدمها الدارس في كل اتجاه من الاتجاهات وهي صفات عامة ، قد نعثر في عرض الكتاب على ما يهزها او يضعفها ، من المآخذ والشوائب ، ولكنها ما خذ وشوائب ، قد تدعم الشخصية العلمية قبل ان تغض منها . وهذا الكتاب في نظري ، هو بناء ضخم قسم تقسيما منطقياً رائعاً دقيقاً ، وضعت فيه الاشياء في مواضعها المناسبة ، بهندسة جميلة متوازنة واعتمد المؤلف فيه على رصيد ضخم من التجارب والاطلاع ، واستعان بما لا يقل عن مائة وثلاثين ديواناً من الشعر ، ومائة وعشرين كتاباً من كتب الادب والتاريخ ، بالاضافة الى عدد وافر من مجموعات الصحف والمجلات ، التي يقع بعضها في عشرات المجلدات

الا انني بالرغم من هذا كله ، ومع اعترافي بقيمة الكتاب ، وبجهد المؤلف العظيم في تأليفه واخراجه ، آخذ عليه بعض المآخذ ، التي كنت ارجو ان يتبرأ منها اثر جليل كهذا .

فقد لاحظت مثلا ، ان المؤلف لا يدقق في ضبط اسماء الكتب والمؤلفين ، ويهمل احياناً ايراد الاسم الصحيح كاملا . واناء وان كنت التمس له العذر في ذلك ، بكثرة المصادر والمراجع وتشعب التيارات والاتجاهات ، لا اعفيه من المسؤولية ، التي يشعر بها كبار الباحثين ، اكثر مما يشعر بها غيرهم ، من ذلك مثلا : نسب المؤلف ديوان « من نبع الحياة » لمحمود حسن اسماعيل « هامش ص ١٩ » والحقيقة انه لمحمد عبد الغني حسن « مطبعة المعارف ١٩٥٠ » . وذكر مجلة « الاسبوع » « هامش ص ٢٠ » ولم يذكر اسم صاحبها ، واعتقد انه الاديب التونسي نور الدين بن محمود ، صاحب مجلة الثريا التونسية . ونحن نعرف ان هنالك كثيراً من الصحف والمجلات ، سميت بهذا الاسم ، وهذا يوقع الباحث المستفيد ، في حيرة . وكذلك لم يذكر اسم الشاعر الذي تمثل بابيات من قصيدته القافية « ص ٢٠ ، ٢١ » وهذا ما فعله في وقفة الشاعر على نهر لندن « ص ٤٠، ٤١ » ، وكذلك في البيتين اللذين تمثل بهما في آخر ص ٩٦ .

وهو كذلك لم يذكر اسم مؤلف « اعلام الشعر الفرنسي » « ص ١٤٩ » ولم يذكره في ثبت المراجع . وكذلك لم يذكر

اسم كاتب مقال « اثر الادب الفرنسي في ادباء مصر » « هامش ص ١٥٢ » ولم يذكر اسم الكاتب الذي اخذ عنه :

« وقدهاجت منهم الضراغم وطارت القشاعم .. الخ » (ص ١٦٥)

ومن قبيل عدم ضبط الاسماء ذكره اسم فريد عين شوكة محرفاً « هامش ص ١٢٣ » وتحريفه اسم « الروائع لشعر الجيل » لمحمد فهمي « هامش ص ١٣٥ ، ١٧٧ » . واسم « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » للسحرتي « هامش ١٦٥ » وخطأه في كتابة اسم المستشرق كبفمير « ص ٢٢٤ » والصواب هو Kampffmeyer كما اخطأ في اسم المطبعة التي طبع فيها الكتاب .

ومما آخذه على المؤلف ايضاً عدم الاستقصاء ، والدقة في بعض المواضع . ففي الاتجاه الاجتماعي كان يجدر به ان يصف الحياة الاجتماعية التي دخل عليها هذا الادب ، حتى يستطيع الدارس تصور واقع تلك الحياة التي يعكسها الادب . ومن هذا القبيل ، حديثه عن الشعر النسائي « ص ٤٦ » فقد قصر هذا الشعر على بابي الرثاء والغزل ، ونسي التصوف ، الذي برزت فيه رابعة العدوية وغيرها . ونحو ذلك مروره على الشدياق في مناصرة المرأة مراً سريعاً ، مع انه في نظري اول من عني بقضية المرأة عناية خاصة ، وجعل مناصرتها جزءاً بارزاً في رسالته الاصلاحية ، التي اضطلع بها على صفحات الساق وكشف المحيا والواسطة والجوائب .

ونحوه اعتماد المؤلف على ما جاء به زيدان في تعليم المرأة ، اذ قال ان الارساليات الاجنبية اخذت بتأسيس المدارس للبنات بعد سنة ١٨٦٠ . والاستاذ المؤلف يعلم ان ايلي سميث وزوجته اسسا مدرسة للبنات قبل هذا التاريخ بكثير ، وذلك في سنة ١٨٣٤

وفي صفحة ٥٣ ، احب ان الفت نظر المؤلف الفاضل الى كتاب قيم عن نهضة المراة المصرية وهو « تطور النهضة النسائية في مصر » للدكتورة درية شفيق والدكتور ابراهيم عبده « مصر ١٩٤٥ »

ومن امثلة عدم الاستقصاء ، اقتصاره على عدد من الصحف النسائية ، « ص ٦٢ ، ٦٣ » مع ان هنالك صحفاً ومجلات اخرى ، كثيرة العدد عظيمة الاهمية والدلالة . ويمكنه ان يستشير في ذلك « كراس النشرات الدورية العربية » لفيليب طرازي « بيروت ١٩٣٣ » وهو في ذلك حجة ثقة .

ومن ذلك ما ذهب اليه المؤلف من ان مارون النقاش ترجم مسرحية البخيل لموليير « ص ١٤٨ » وهذا خطأ شائع تردى فيه كثير من الباحثين ، واخطأت انا فيه في كتابي « القصة في الادب العربي الحديث » « ص ٤٩ » ثم تبين لي وجه الصواب ، وساسفر عنه في كتابي « المسرحية في الادب العربي الحديث » . والحقيقة ان النقاش لم يفعل ذلك ، بل اخذ الفكرة عن مسرحية موليير ، ثم عالجها علاجاً آخر يختلف كل الاختلاف من حيث البناء والتشخيص . ولعل حظ النقاش من الاصالة في هذه المسرحية ، لا يقل عن حظ موليير الذي اخذ فكرتها وبعض مواقفها عن مسرحية « الاولوليريا » للكاتب اللاتيني بلوتس .

ويذهب المؤلف ، متابعاً في ذلك المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ، « ص ١٦٣ » الى ان مارون النقاش درس فن التمثيل في ايطاليا . والحقيقة انه لم يفعل ذلك ، وشتان ما بين المشاهدة ، والانتفاع بها ، وبين الدراسة المنظمة القاصدة . وهذا تحميل للحوادث ، فوق ما تستطيع ، وتفسير للاخبار ، بما لا توحي به

وقد اشار المؤلف « ص ١٥٠ » الى ان الاستاذ علي احمد باكثير ترجم مسرحية « الليلة الثانية عشرة » لشكسبير شعراً ، ونشرها على حدة ، والحقيقة انه لم يترجم منها سوى جزء لا يتجاوز الفصل الواحد ، ولم ينشره على حدة بل اكتفى بنشره في مجلة « الرسالة » .

وقد اخطأ المؤلف في تاريخ وفاة اديب اسحق ، فذكر انها

سنة ١٨٨٣ والحقيقة انها سنة ١٨٨٥ كما اخطأ في تاريخ وفاة نجيب الحداد فذكر انها ١٨٨٩ والحقيقة ١٨٩٩، ومرد هذا الخطأ الى تحريف الطباعة، او في النقل «ص ١٦٤».

ومما آخذه على المؤلف ايضاً، انه لم يستقص تاريخ القصة والرواية والمسرحية في ادبنا الحديث، وكل ما أتى به كان لمحة عابرة، اثناء حديثه عن تطور الفنون الكتابية، مع ان هذه الفنون الثلاثة، في صورتها الحاضرة، جديدة في ادبنا، وتستحق مزيداً من العناية والاستقصاء. ولعله اراد ان يوجز حديثه عنها، ليترك امامه متسعاً من الزمان والمكان، يتحدث فيه عن الشعر حديثاً يكاد يكون وافياً.

وفي حديث المؤلف عن كتابة السيرة «ص١٦٤» لم يفرق بين الدراسات والسير الفنية. فكتاب ادهم عن مطران وكتاب محمود شاكر عن المتنبي وكتاب جبرائيل جبور عن عمر بن ابي ربيعة، ليست من السيرة الفنية في شيء، بل هي دراسات منهجية، يبحث المؤلف فيها عن الحقيقة العلمية، ويؤرخ ناحية من نواحي الشخصية الانسانية، وهي ناحية الانتاج الادبي. وفن السيرة، فن يختلف عن هذا كله، وله اعلامه في الادب الغربي امثال ليتون ستراتشي وفشر واندريه موروا ورومان رولان وستيفان زفايج واميل لدفيج. ومن كتاب السيرة عندنا الشدياق وميخائيل نعيمه والعقاد وعبد الحميد جودة السحار وعبد الفتاح عبد المقصود وعلي ادهم ومحمود الخفيف وسواهم.

وهذا الفهم الخاص لفن السيرة، هو الذي ادى باستاذنا الفاضل الى ربط فن السيرة بالنقد الادبي «ص١٦٥» وهو ربط قائم على قصر السير الفنية، على دراسة حيوات الادباء. بينما السيرة في حقيقتها، صورة فنية كاملة لانسان، زعيماً كان او مصلحاً او اديباً او غير ذلك.

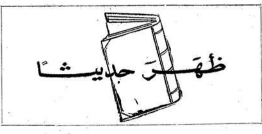
وفي حديث المؤلف عن الرمزية، شيء من السرعة وعدم الاحاطة، ونحن نعجب لماذا لم يرجع المؤلف الى كتاب اشرف هو على اخراجه وتأليفه، وهو كتاب «الرمزية والادب العربي» لانطون كرم، وهو كتاب واف في الموضوع، وهذا ما نأخذ على المؤلف الفاضل، في حديثه عن الزجل والشعر العامي ايضاً، اذ ان هنالك كتاباً يعد مرجعاً في الموضوع، وهو كتاب «الزجل» لمنير الياس وهيبه «بيروت ١٩٥٢».

ومن قبيل عدم الاستقصاء حكمه على حركة الشعر المطلق بانها محاولة لم تسفر عن اثر يذكر «ص ١٩٧» رغم انها اتجاه قوي ظهر في الشعر الحديث بعامة، والشعر العراقي المعاصر بخاصة، وهي حركة تستحق الدراسة والتقويم.

وفي حديث المؤلف عن النشائد الغزلية «ص ٢٠٣» لا ينوه بفارس الشدياق، مع ان له في الساق، اغاني جميلة، كان فيها من السابقين.

وبعد، فقد تناولت اثراً قيماً في تأريخ الادب العربي الحديث، وحاولت ان اعرضه وانقده، واخذت عليه بعض المآخذ الشكلية وانا اعترف ان هذا الكتاب هو خير ما قرأته في تاريخ الادب الحديث، وقد فتح لي افاقاً واسعة، وكشف لي عن بعض المبهمات التي استطاع المؤلف، بخبرته الواسعة والفته الطويلة للموضوع، ان يفض اختامها، ويفتح مغاليقها. وارجو ان يستمر ذاك الاعطاء منه، وهذا التلقي منا، فنحن في حاجة الى الاساتذة الاجلاء العاملين، الذين يحملون الرسالة، ويجاهدون في سبيل تأديتها على احسن وجه. ومؤلفنا الفاضل صاحب رسالة، وصاحب طريقة في حملها وتاديتها، تمتاز بالعمق والمثابرة والاخلاص.

القاهرة — محمد يوسف نجم



شاطىء الأبد

لعبد الواحد الصبيحي - مجموعة شعرية - ٧٢ صفحة - منشورات اسرة الفن المعاصر ببغداد

جاء في المقدمة التي كتبها الشاعر الاستاذ طه العبيدي .

ما زال الشعر العربي - كما اراد له السلف الصالح - قابعاً في قمقمته الداخنة منتظراً اليوم الذي ينفض عنه فيه غبار الزمن وينطلق عملاقاً جباراً . وما زلنا ننظر الى هذا الحي المأسور مشفقين من وراء الف حجاب وحجاب ...

... وهكذا نقف اليوم امام ازمة الشعر المستحكمة وجهاً لوجه بلا استعداد فشعرنا على هذه الصورة فقير الى كل ما يمت اليه ، فقير الى الوحدة ، فقير الى الفكرة ، فقير الى التحرر والانعتاق ... فالجمود هو الطابع السائد الذي ما زال يتسم فيه الشعر . واذا سلمنا بان الفن هو محاكاة الطبيعة كما قال ارسطو فان هذه المحاكاة من هذا الخلط يا ترى ؟ فاذا استثنينا بعض الانطلاقات من شعرنا المعاصر فمعظمه تقليد عقيم للقديم البالي حتى كاننا نمارس الحياة داخل اقبية متاحف عتيقة ... وربما كان لانعدام النقد الفني الصحيح الاثر الاول في هذا الموضوع فنقادنا حتى اليوم لم يكونوا اكثر من متاثرين او متحاملين ، ومن هنا جاءت الدعوة التي ما زالت آثارها عالقة في قلوب شباب هذا الجيل لا سيما المنتج منه تلك هي الدعوة الى الهمس في الشعر ..

مع طه حسين

لسامي الكيالي - العدد ١١٢ من سلسلة اقرأ ١٢٦ صفحة - حجم صغير - دار المعارف بمصر

يقول الاستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة الحديث ومدير دار الكتب الوطنية بحلب في مقدمة كتابه : عميد الادب العربي ، المفكر الحر ، صاحب المدرسة الحديثة التي وجهت الدراسات الادبية وجهة جديدة نقلتها من عصر المبوعة والتزمت والانحطاط الى عصر القوة والحرية والانطلاق ، المؤلف ، الناقد الاديب القاص الذي رشحته الهيئات الادبية في الغرب لجائزة « نوبل » معري القرن العشرين ومفخرة مصر والعرب ... الدكتور طه حسين . ان الحديث عن هذا العبقري الفذ يحتاج الى جهد كبير ووقت طويل . فهو دنيا قائمة بذاتها ، وحياته نفسها قصة من قصص البطولة ، بطولة الفكر اليقظ وعبقرية الذهن المنتج ... وفي كل فترة من هذه الفترات تاريخ مليء بالحياة والمجد والعظمة . ولا اريد هنا ان اكتب قصته ، وهي سفر طويل .. بل اريد ان المح الى هذه المراحل من حياته الفكرية ... اعتمد فيها على كتبه وبعض ما كتبه ، وهي تصور ملامح من حياته الفكرية ، هذه الحياة التي تزداد نوراً واشراقاً ، وفيضاً وسناء كلما تقدمت به الايام .

بين شاعرين مجددين : ايليا ابو ماضي وعلي محمود طه المهندس

لعبد المجيد عابدين - مطبعة الشبكشي بالقاهرة

مؤلف هذا الكتاب ، هو احد المعنيين بالدراسات الادبية الحديثة فقد سبق له ان اصدر كتاباً عن التيجاني ، شاعر الجمال وقد تناول في هذا الكتاب حياتي الشاعرين ، وعرض لما فيهما من وجوه التشابه والاختلاف ، ثم بيّن اثر كل ذلك في شعرهما . ثم تحدث عن نزعتي الشاعرين وعن فنيهما ، وقارن بين شعرهما .

والكتاب يستحق التفات الباحثين والدارسين ، لما فيه من خصائص ، ولان الدراسات الحديثة قليلة في ادبنا .

المسألة المصرية

لجواهر لال نهرو - من كتابه لمحات في تاريخ العالم - ترجمة نورية عزيز شريف - ٥٤ صفحة - مطبعة الرابطة ببغداد

تقول الاديبة نورية عزيز شريف في مقدمة الكتاب : يتضمن هذا البحث ترجمة لبحث نهرو في المسألة المصرية في كتابه المشهور « لمحات من تاريخ العالم » الذي وضعه وهو في سجون الهند ، بين اكتوبر ١٩٣٠ واغسطس ١٩٣٤ بصورة رسائل خاطب بها ابنته الصغرى . ثم جمعت ونشرت بشكل كتاب اطلقت عليه هذا الاسم اخته المحترمة فيجايا لاكشمي بانديت ، مع الاحتفاظ بطابع الرسائل . وقد طبع خمس مرات في الهند ، وانجلترا ، واعيد النظر فيه ثلاث مرات ، ونال اعجاباً وتقديراً من قبل الكثيرين في انحاء مختلفة من العالم . ووصف بكونه من الادب الانجليزي الرفيع . وعلى ذلك فاني لا اطمع في ان اقدم

لقراء العربية نموذجاً صحيحاً في ادب الكاتب ، وانما كان همي ان انقل افكاره بامانة .

شيئان يدعوان الى الاهتمام بهذا البحث ، هما اولا ، كونه يتناول قضية من اخطر قضايانا القائمة ، وهي القضية المصرية . وثانياً لكونه يعبر عن راي جواهر لال نهرو في هذه المسألة . وحري بكل معني بالحركة الوطنية عندنا ان يعني بكلتا الناحيتين. وليس يخفى ان محض تناول مشكلة خطيرة لا يقدم في الامر شيئاً ، انما يتوقف الامر على كيفية تناولها ، اي على صحة وعمق فهم هذه القضية وقوة ابراز معضلاتها الاساسية، ورسم الطريق البين لحلولها .

المملكة العربية السعودية

للحاج عبد الكريم موسى ابا الخيل المصلوخي - ١٥٦ صفحة
دار الحديث للطباعة والنشر والتاليف بالعراق

بحث علمي تاريخي عن الاوضاع السائدة في المجتمع السعودي من الوجهة الاجتماعية والسياسية والاخلاقية والجغرافية والروحية لتعريف المملكة العربية السعودية . يقول مؤلفه الفاضل في المقدمة : « هذه مقدمة بحث علمي تاريخي اقتصادي سياسي جليل الفائدة عظيم الاثر كبير الخطر يفتقر اليه التاريخ العربي كما تفتقر اليه المكتبة العربية . وهذا البحث لم يكن باي حال من الاحوال مبنياً على اسس الانشاء والتغني الفارغ انما هو دليل تدعمه حجة ويؤيده برهان ، لها هدف ، ومغزى الهدف ما ينحصر في اتجاه البحث وسبكه وخطته العلمية والادبية والاجتماعية » .

وهذا ما اشتمله فهرست الكتاب من موضوعات: المقدمة ، توطئة عامة للبحث ، حروب غزو غارات فوضى وغصب، الملك والدولة والرعية والدستور والمعارف، نظرة في جغرافية المملكة العربية السعودية مع شرح الحالة الاجتماعية، الحالة الاقتصادية في المملكة · نظرة في السياسة السعودية وما انجزته من المعاهدات مع الدول العربية الشقيقة والدول الاجنبية ، المعاهدة السعودية اليمانية، عهد التحكيم معاهدة بين المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية ، اتفاقية الممر بين مملكتي نجد والعراق لاحقة، المعاهدة بين المملكة السعودية والمملكة المصرية، بحث عام في شؤون البلاد حكام الامارات السعودية ، قبيلة عنترة في التاريخ ، الامام احمد ابن حنبل ، مشاهير علماء نجد الاعلام ، كيف يخاطب امراء نجد رعاياهم ، كتاب من تركي بن عبدالله الى من يراه من المسلمين ، كتاب من فيصل بن تركي الى من يراه من المسلمين، حياة صاحب الجلالة الخاصة، هدايات جلالة الملك، العقال الذهبي، العلم السعودي ، المؤتمرات الدولية .

كتاب تذكرة الكحالين

لعيسى بن علي بن جزله - تحقيق الاب انطونيوس شبلي اللبناني
٤٨ صفحة - من الحجم الكبير - المطبعة الكاثوليكية بيروت

كتاب تذكرة الكحالين مخطوط قويم ثمين في طب العين للعالم العلامة عيسى بن علي بن جزله عرف له الاب انطونيوس شبلي اللبناني ونشره تباعاً في مجلة «المشرق» وكان الاب الفاضل قد عثر عليه اثناء وجوده في عبندارا بلبنان سنة ١٩٤٩ عند الصيدلي السيد فارس نمر بدر .

كتاب مرداد

لمخائيل نعيمة - ٢٨٥ صفحة - من الحجم الكبير
منشورات مكتبة صادر بيروت

وضع الاستاذ ميخائيل نعيمة هذا الكتاب باللغة الانجليزية ثم نقله الى العربية ونشرته له مكتبة صادر بيروت . وننشر فيما يلي رسالة كان قد بعث بها الى المؤلف من امريكا رفيقه في الرابطة القلمية الفقيد وليم كاتسفليس على اثر اطلاعه على النسخة الانجليزية قال :

« وانت يا اخي كنت منذ سنين ، ولا تزال ، في القمة. فماذا عساني ان اقول ؟ بدأت اقرأ « كتاب مرداد » وقد وصلت الى منتصفه او اكثر قليلا . وهو من الكتب التي لا يجوز لنا ان نقرأها على عجل . بل اني كثيراً ما اراجع الجملة او الصفحة الكاملة لكي اهضم معانيها الشاسعة، السامية . وكثيراً ما اطبق الكتاب واسبح في بحر من التأملات من جراء كلمة او فكرة . فيكاد ان يغرقني اليم باامواجه المتلاطمة . لله درك يا ميشا . إن نظرك لثاقب . وان سهمك لبعيد المرمى . وكم مر هذا السهم فوق رأسي فعدت اعرض له صدري لعله يخترقه فاتغذى بما فيه من دسم وحكمة، واتفهم ما فيه من معنى ومغزى. ولا بد للقارىء ولاسيما المثقف والاديب، من دراسته تكراراً للاتصال بروحانيته والامتزاج بذاتية ميشا ، كما توفق هو في الامتزاج بذاتية الكون الشامل الازلي . وقد اعجبتني متانة لغته وقوة السبك والتعبير التي الفيتها تزداد حسناً كلما توغلت في الكتاب . فكأني بك كلما تكاثر الوحي عليك ازددت فصاحة و بلاغة ... »

جولة الأديب في شهر

حديث مع الاستاذ طه حسين

بقلم وديع فلسطين

❀

لم يكد الدكتور طه حسين ينفض يديه من أدران السياسة ويهجر مناصب الحكم ، حتى عاد الى قلمه والى كتابه ، يشهر القلم ويشرعه وقلمه سلاح ماض ، ويفتح الكتاب ويتلوه وكل الكتب عنده حبيب الى النفس يشغل من بيته فراغاً كبيراً ، ويشغل من واعيته جميع اركانها .

واخذ طه حسين يطالع الناس من جديد بآرائه في الادب والسياسة وتآليف الشباب ، وهي آراء جملتها التجربة وقوّمتها الحياة بصروفها ، وزادتها الدراسة والرحلات شمولا وبعد افق .

فكتب طه حسين يشكو الى الله محنة الادب ، بعد ان صار للسياسة سوق ، وللتجارة سوق ، وللصناعة سوق ، وللهو سوق ، اما الادب فسوقه كاسدة بارة لا يرتادها الا من ادركه داء الادب فلم يستطع منه فراراً . وكتب طه حسين ينعي الادباء أحياء ، فيقول ان على الاديب ان يجد لنفسه عملا آخر يهيء له مورد دخل ، فاذا عول على الادب ادركته الحاجة ولا يبعد ان يتكفف الايدي اذا امسك الادب بخناقه من كل ناحية .

وعاد طه حسين الى مألوف عادته ، فكتب عن ادباء الشباب في إنصاف منه حميد ، غير ناس انه هو نفسه كان ذات يوم اديباً شاباً ، وانه استرشد بآراء شيوخ الادب في عصره . فكانت هذه الخطوة الرشيدة منه تشجيعاً عملياً للشباب وتعزية لهم عما لحق بهم من آثار محنة الادب في هذا الشرق الذي نكاد نصفه بانه «رزيء بالضاد» .

وللعقاد كلمة مأثورة يقولها في مجالسه الخاصة إعراباً عن ضن الشرق على الادباء بالتقدير وهي « مصيبتي انني اكتب من اليمين الى اليسار لا نقيض ذلك » .

كانت هذه الخواطر تجول في ذهني عندما دققت باب طه حسين مع الصديق الاميركي الاستاذ هول ونسلو استاذ الصحافة بجامعة بيروت الاميركية ودخلنا على الاستاذ العميد في حجرة تعمر بالكتب تطل على حديقة غناء لا تنفك الطيور تغرد فيها ، وجلسنا حوله في جو ودي اشاعه طه حسين بفكاهاته وابتساماته .

وكان طبيعياً ان يثار موضوع محنة الادب في الحديث مع عميد الادب . ولكننا اثرناه من طرف خفي ، اذ سألناه رايه في الادب الاميركي المعاصر وهل له به المام ودراية .

فقال طه حسين : إن اتصالي بالادب الاميركي اتصال غير مباشر ، لانني لا اقرأ باللغة الانجليزية بل بالافرنسية . واعرف من الادباء الاميركيين كثيرين واحبهم بل اعشقهم ، ولكنني اتحسر اذ ارى لغة الضاد خلواً من كتاب ادبي واحد ترجم الى اللغة العربية من الادب الاميركي . ولكنه استدرك فقال : باستثناء مؤلف صدر اخيراً للدكتورة سهير القلماوي .

وقال طه حسين : إننا في هذا الشرق نعرف اميركا المادية ، ولكننا نجهل اميركا الروحية . فنعرف الآلة الاميركية . ونشهد السينما الاميركية ، ولكننا ناءون كل النأي عن الادب الاميركي الذي يمثل لنا الحياة الاميركية في جوهرها وحقيقتها . وما يترجم الى اللغة العربية من ادب الاميركيين هو من اقاصيص الصحافة ، ولا إخال هذه معبرة تعبيراً بيناً عن الطاقة الفكرية والثقافية التي تعتمل في هذه القارة الجبارة العاتية .

واذا كانت الضاد مفتقرة الى مصنفات الادب الاميركي ، فانها زودت اخيراً بزاد موفور من كتب الاقتصاد والتجارة والمال والصناعة والعلم ، حتى كادت هذه جميعاً تصور لنا الولايات المتحدة باعتبارها دولة مال ودولة صناعة لا غير ، وكأنما الادب فيها بائر غث ، مع انه في جلية الامر موفور نفيس يحتل في الحياة الفكرية العالمية منزلة رفيعة القدر .

وتلفت الدكتور طه حسين الى محدثيه ،



الاستاذ وديع فلسطين
الاستاذ بمعهد الصحافة في الجامعة الامريكية بالقاهرة

وكل منهما استاذ للصحافة في جامعة امريكية ، وقال لهما : اني لاحملكما رسالة الى معهديكما ، هي ان تنبها الى ضرورة العكوف على ترجمة الادب الاميركي الى لغة الضاد وعدم الاقتصار على ترجمة كتب الاقتصاد والعلم والصناعة وما اليها .

وسألنا الدكتور طه حسين عن رسالته في الحياة ، وما كانت هناك ضرورة لهذا السؤال ، لان رسالة طه حسين هي الانسانية الخالصة المصفاة من الشوائب ، وقد عمل بادبه الناصع الغزير وفكره الانساني النزعة على ارساء دعائم هاته الرسالة في الشرق العربي ، وفي البلدان التي قرأت له مصنفاته في ترجمات اعجمية .

فقال طه حسين : رسالتي هي ان يباح للناس جميعاً ان يتعلموا فالعلم كالهواء والماء يجب الا يضن به على احد . وحبذا ان تأخذ الحكومات بهذا المبدأ فهو اكبر مظهر من مظاهر الحضارة في بلد ما

وقلت في التعقيب على هذا القول : ان ابلغ رسالة قمت بها ايها الاستاذ الجليل في الحياة ، هي انك اخرجت الادب من حيز المعهد الى حيز الحياة . فانت انت الذي كتبت في الصحافة اليومية تعالج الادب فاطمعت القراء العاديين — حتى الذين لم تكن لهم ثقافة مكتملة — في الادب ، وصاروا يهوون مطالعة الادب لولا انصرفتهم عن ذلك احداث السياسة في الداخل وفي الخارج وانت انت ، هو الذي خلقت « المنبر » في مصر ، فصار للمنابر رواد ومصغون ، ولم يكن للناس من شغف بالمحاضرات قبل ان يقف طه حسين بينهم محاضراً محدثاً . وانت انت الذي جعلت الادب « في الشارع » لانك نبوت عن المهجور من الكلام العتيق وخاطبت الناس باسلوبك السهل الممتنع الفريد فصاروا يجارونك في ذاك كاتبين او متحدثين . وانت انت الذي غزوت بادبك المذياع ، سواء في مصر او في خارج مصر حتى صار الناس يتلمسون فصولا للادب بين برامج الموسيقى والاغاني وغيرها مما تزخر به الاذاعات .

وعاد طه حسين يتحدث فقال : لي هوايتان هما الادب والموسيقى القديمة . اما الادب فاحب منه قديمه وكنت غارقاً فيه منصرفاً عن الادب الحديث حتى تهيأت لي فرصة مطالعة مؤلفات ادباء الشباب فلم أر بداً من متابعتها وهي على هذا المستوى من الجودة . ولست اغفل كذلك الادب الفرنسي ، وله في برنامجي اليومي ساعات معينة انفقها بين تصانيفه . اما الموسيقى ، فانني انصرف اليها عشية كل يوم ، فاجلس مع زوجتي واني حول الجراموفون نصغي الى تصانيف من الموسيقى الكلاسيكية الغربية ، فهي غذاء الروح اي غذاء ، وهي كذلك متعة للنفس بعد ساعات العمل المضني . فالذهن لا يصفو الا على انغام الموسيقى ، والخيال لا ينسرح الا اذا تهيأت له من الانغام الشجية آفاق جديدة . ولهذا احرص على الاصغاء الى الموسيقى كل يوم فهي بدورها تشغل من وقتي سويعات هنيئة طيبة .

وسألت طه حسين عن مستقبل الادب على الشاشة البيضاء ، بعدما تسنى له ان يرى احدى رواياته في دار الخيالة . فقال ان السينما والمسرح في حاجة الى الانتفاع بالادب الذي ينتجه الادباء المعاصرون ، اما تجربته الخاصة فلم تكن متوجة بالتوفيق لا من الناحية الفنية ولا من غيرها من النواحي . وفي اعتقاده ان الادب سيغزو ابواب الفن ، بل سيكون الادب عماد الفن لان المستوى الفكري العام في ارتقاء مطرد .

هذه وجازة للآراء التي عرضها الدكتور طه حسين في حديثه معنا ، وهي آراء فيها معنى التفاؤل المشرب بالحذر في ما يتعلق بمستقبل الادب العربي . صحيح ان الأدب في محنة هو اول المحترفين بها ، وصحيح ان حقوق الادباء مضيعة سواء من الدولة او من الناس عامة ، وصحيح ان دور الطباعة تخشى ان ينفض سامر الادب ، ولكن طه حسين يرى في انتشار التعليم والثقافة خير عاصم من هذا المصير البغيض .

وخرجت من دار طه حسين أتساءل : كيف نتفاءل وقد ضاقت الحياة الفكرية في الشرق العربي بمجلة « الكاتب المصري » التي كان يحررها طه حسين مع كوكبة من رجال الفكر النابهين في هذا الشرق ؟ وكيف السبيل الى الاستبشار وقد ودع « المقتطف » بعدد شهر ديسمبر خمسة وسبعين عاماً من عمره وصار في ذمة التاريخ كأن لم يكن وعاء حمل المعرفة والادب والعلم في عصور مظلمة فلما جاء عصر النور والنهضة والثقافة طوى « المقتطف » صفحته وكف عن الصدور ؟

ولو جاز لنا الحديث عن محنة كل مجلة ادبية لعرف القراء من امرها عجباً ، ولصاروا مثلنا يتساءلون عن محنة الادب ، وهل تنجاب قريباً كما يقول طه حسين متفائلا مستبشراً ؟

لقد القى الاستاذ رضوان ابراهيم في عدد سالف من « الاديب » تبعة محنة الادب على دور النشر ، والواقع ان هذه المحنة مسؤول عنها الادباء ، والقراء ، والناشرون والحكومات وموزعو الكتب واساتذة الجامعات والمعاهد . فنحن جميعاً من اسباب محنة الأدب ، ولن تزول الغمة ، حتى ينشأ جيل جاد يعتاد الحياة الجادة . ولن تختفي الضائقة حتى تستوي الموازين المختلة وتبرأ من مظاهر الهوى والنفاق

القاهرة وديع فلسطين

من ذروة الارز حتى رمل شاطئه

نقشر فيما يلي قصيدة الأخطل الصغير بشارة الخوري التي نظمها بمناسبة ذكرى جلوس جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وهي ذكرى الحدث التاريخي الذي اقام الدولة العربية السعودية في قلب جزيرة العرب ، ففتح للجزيرة صفحات في سجل التاريخ الحديث. وقد اذيعت القصيدة من محطتي الاذاعة في مكة وفي بيروت ونشرتها عدة صحف . فهل تكون هذه القصيدة فاتحة لعودة الأخطل الى التغريد بعد هذا السكوت الطويل ...

☆

الا ترى الشعر يعلو وجهه الخجل يا نجد عفوك انت الفخر والغزل
في كل خافية منها وبادية سيف محلى وقلب واله ثمل
اين العرار ؟ بروحي طيب نفحته على العرار بنجد ساكت القبل
ودار «عبلة»[1] هل رقت لعنترة وهل درت «ام اوفى» انها المثل
ما لامرىء القيس لم يرفق بناقته فراح ينحرها والغيد تغتسل
كأنه وهو يستغوي «عنيزته» لم يأت ذنباً ولكن اذنب الجمل
رواية منذ كان الضعف كائنة فكم تحدث عنها الذئب والحمل

عبد العزيز اصاب العرب بغيتهم لما طلعت عليهم انت والامل
عبد العزيز وما اومت اكفهم الا اليك ، اذا قالوا من الرجل ؟
عبد العزيز ومن يرجى سواك لها والخطب يفجأ والاحداث ترتجل
في فترة الرسل والاحقاد صارخة والظلم يعصف فيها تبعث الرسل

عيد الجلوس اعرني منك بارقة اريك ليل القوافي كيف يشتعل
جذبت زهر الدراري من غدائرها فلم يزل في يدي من شعرها خصل
نفضت منها على الاسحار لؤلؤة فمذ رأتني مدت جيدها الاصل
وزهرة في حنايا السفح نابتة من الحياء على اهدابها بلل
مسحت عن جفنها الاسيان دمعته حتى ترقرق فيه الانس والجذل
عرائس من عيون الشعر سافرة حدا بها الرجز او غنى بها الرمل
مبرجات عليها الحلى والحلل طافت بعرشك يوم العيد تحتفل
العرب في كل بيت من بيوتهم عرس... وانت لرب «البيت» تبتهل
ابا سعود عيون الله ساهرة عليكما ما سيوف الهند؟ ما الاسل؟
ابا الكواكب وجهاً والغيوث يدا من كل من يحتذي العليا وينتعل
ابا العروبة لا ترضى به بدلا ولو تنكب عنها اعجز البدل
اعد لها مجدها الماضي فقد درجت على مناصلكم ايامها الاول
رايات حق على الدنيا موزعة وكل راية حق تحتها بطل
كتائب تزرع الايمان اين سرت حتى اذا اورق الايمان تنتقل
الليل يعلم كم صلوا وكم سجدوا يكاد لا الفرض يشفيهم ولا النفل
اذا ذكرت فلسطينا ونكبتها نكأت في القلب جرحاً لبس يندمل
وقفت بالطلل البالي وقلت له انا ملبوك فأبشر ايها الطلل
لابن الوليد[2] ولابن العاص زمجرة في الواديين مشى في ركبها الاجل
وللاغر المفدى كل كوكبة من اسد لبنان ادنى غيلها القلل
وفي الجزيرة دوى صوته «عمر» لغير ابنائنا التشريد والثكل
من ذروة الارز حتى رمل شاطئه وما تنسم عنه السهل والجبل
قطفتها بسمات من ازاهره عذراء يرشح منها الطهر والخجل
حملتها «لطويل العمر» تهنئة ذابت قلوب عليها وانتشت مقل

بشارة الخوري

---

١ ـ دخل الشاعر على قصيدته بذكر ثلاثة من كبار شعراء نجد: عنترة صاحب عبلة وزهير صاحب ام اوفى وامرؤ القيس صاحب عنيزة ، ملمحا الى قول الأول : « يا دار عبلة بالجواء تكلمي » والى قول الثاني « امن ام اوفى دمنة لم تكلم » والى حكاية امرىء القيس مع عنيزة وصواحبها وهن يغتسلن وعن ذبحه ناقته لهن .

٢ ـ اراد بابن الوليد فاتح الشام العقيد اديب الشيشكلي وبابن العاص فاتح مصر اللواء محمد نجيب وبالواديين وادي بردى ووادي النيل وبالاغر المفدى رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ كميل شمعون و « بعمر الفاروق » جلالة الملك عبد العزيز آل سعود .

حط بمطار مارينيان بمرسيليا صحن طائر

•

نشر هذا المقال في جريدة « فرانس ديمانش » وهو العدد الاسبوعي لجريدة « فرانس سوار » العدد ٣٣٠ الاسبوع من ٢١ الى ٢٧ - ١٢ - ١٩٤٢ .

***

هذه هي خلاصة الحادث الذي جرى على مطار مارينيان بمارسيلية ليلة ٥٦ الى ٢٧ تشرين الاول ١٩٥٢ اذ حط في تلك الليلة على مهبط المطار « سيكار طائر » ثم عاد فانطلق بعد لحظة . وقد شهد ذلك جندي الجمارك المدعو جبريل غاشينيار وقد استطاع الاقتراب منه حتى خمسين متراً .

وقد قام مخبرو جريدة « فرانس ديمانش » بالتحقيق حول هذا الحادث الذي حاولت السلطات كتمانه ، واخذوا من الجندي غاشينيار اول حديث ادلى به الى رجال الصحافة .

ويجدر ، قبل البدء بسرد الحادث ، ملاحظة ان شخصية هذا الجندي وطباعه تجعل من المستحيل التصور ان روايته قد تكون من باب المزاح او الوهم الذي يقع فيه شخص ضعيف القوى العقلية او ذو خيال واسع . ان المدعو جبريل غاشينيار موظف منذ سبع سنوات في سلك الجمارك ، وهو مثال الجندي ، ورؤساؤه لا يقصرون قط في الثناء عليه . وهو يبلغ من العمر الثانية والثلاثين ، متزوج وله اولاد . اما من الجهة الاخلاقية فهو رجل بسيط لا تعقيد في حياته ولا يشغل افكاره بما فوق الطبيعة او بمخلوقات العالم الاخر . ضيق الخيال ، ميال الى الرصانة ، لا يدهشه من الاشياء الا ما فاق المعتاد . وهو في مناقشاته لا يحاول فرض ارائه وليس بالساعي الى الشهرة . وهو يقبل الان بان يكون اول رجل رأى هذا الشيء الغريب عن كثب ، كأنه يقبل بالقدر المحتوم .

ولنضف الى هذا ان غاشينيار قد تطوع في الجيش وعمره ١٨ عاماً واشترك بالحرب الماضية في سلاح الدبابات وبقي اسيراً مدة خمس سنوات هذا كل ما تجدر معرفته عن هذا الرجل . وهذا الرجل البسيط الامين هو الذي سرد مشاهداته عن الحادث بكل دقة وامانة ، مختارا الفاظه وكلماته بكل عناية . وقد سجلنا افادته في قرية لاروشيل حيث نقل بعد مغادرته مطار مارسيلية « وللتأكد ان هذا النقل لا علاقة له مطلقاً بحادث المطار الذي سيرد ذكره فيما يلي لان النقل صدر قبل تاريخ ٢٧ تشرين الاول ، اليوم الذي ظهر فيه السيكار الطائر » .

وهذه هي افادة جبريل غاشينيار :

عند منتصف الليل ، كانت الرياح قد كشفت الجو لكنه عاد فاكفهر بالغيوم كأن الامطار وشيكة السقوط . وكنت في الساعة الثانية صباحاً في بناء الميناء الجوي ، اقوم بمناوبتي منذ الساعة ٢٠ وكنت صاحياً تماماً لاني نمت اثناء النهار وكنت قد ابتعت شيئاً من الطعام : خبز وجبن ابيض فخرجت لتناوله في الهواء الطلق . وهناك عدد من المقاعد موجودة على الشرفة امام بناء الميناء الجوي . ويفصل هذه الشرفة عن باحة المطار ، حيث تتجمع الطائرات الهابطة ، احواض من الاسمنت تزرع فيها الزهور . وكنت انوي ، بعد ان افرغ من تناول الطعام ، ان اذهب الى مكتب مراقبة المدرج للتأكد من ان طائرة البريد الوارد من الجزائر مقبلة في موعدها الساعة ٢٠ر٢ كما قيل لي . وهذا خطأ . فقد كان اليوم يوم احد ، وهذا الخط لا يعمل في هذا اليوم .

كان مطار مارينيان ممتداً امامي في الظلام . غير اني كنت اعرف جميع مواقعه الهامة عن ظهر قلب ، ثم ان مثل هذه الساعة لا يمكن ان تكون جميعها في ظلام . لان في وسع الانسان ان يبصر فيها اشياء اقل حلوكا من غيرها ، فيتعرف على الاشياء التي سبق ان الفها . وكان المدرج الممتد من امامي منارا نوعاً ما بالنور الصادر من الاحرف المصنوعة من انابيب النيون التي كتب بها اسم مارسيليه بطول ١٠ امتار وعرض متر . والمثبتة على واجهة بناء الميناء الجوي .

ولم يكن الوقت تجاوز الساعة ٣٠ر٢ اذ ابصرت على حين غرة نوراً قادماً من اليسار كأنما كان يتبع المدرج ، على ارتفاع قليل . على جانب المدرج المقابل لبناء الميناء الجوي ، حيث يوجد شباك مغطى بالشباك المعدنية كالتي كان يستخدمها الجيش الاميركي خلال الحرب لاعداد المطارات الموقتة . كان ذلك النور يبدو محلقاً فوق ذلك الحقل ، على طرف المدرج المعبد بالاسمنت والذي كان يبدو بوضوح في ظلمة الليل . ولم يكن هذا النور قوياً وانما كان ظاهرا تماماً . وكان يجري بسرعة تعادل سرعة طائرة نفاثة حين اقترابها من المهبط ، وقد قدرت هذه السرعة بـ ٣٥٠ كيلو متراً في الساعة .

وخيل لي في البدء ان هذا النور عبارة عن شهاب يلمع في الافق . لكنه سرعان ما مر من فوق بناء يبلغ ارتفاعه عشرة

امتار ندعوه بسبب شكله « بالبرميل المزدوج » . كان هـذا البناء ، الذي يشبه نصفي برميل الصقا جنباً لجنب ، يقع على بعد كيلومتر من المكان الذي كنت فيه .

خيل لي ان النور يمر من فوق البرميل المزدوج على ارتفاع عشرة امتار متبعاً ماراً مستقيما دون اي قلقلة او اضطراب ، ويهبط شيئاً فشيئاً نحو الارض . وحينما مر من امامي عرفت بانه لا يمكن ان يكون شهاباً . ثم توقف النور على الفور امامي دون ان يسبق وقوفه تباطؤ ، على مسافة مائة متر من الجهة اليمنى ، « وقد قسنا المسافة فيما بعد » . وقف النور على حين غرة بعد ان كان يجري بسرعة ٢٦٠ كلم في الساعة ، على جانب الحقـل المعدني ، وسمعت صوتا هشاً خشناً غير معدني ، يشبه الصوت الذي يحدثه وضع شيء ثقيل على الارض . والى ذلك الحين كان هذا النور يسير دون احداث اي ضجيج .

وكان قد انقضى مـا يقرب من ١٥ الى عشرين ثانية بين اللحظة التي ظهر فيها النور وبين وقت توقفه . ولم يسبق لي ان شاهدت طائرة تهبط بهذا الشكل ، ولـكني كنت على يقين بان هذا الشيء ، الذي حط على المدرج هو شيء مادي حتما ما دمت قد سمعت صوت ارتطامه بالارض .

نهضت واقفاً واتجهت نحو النور ، بدافع حب الاطلاع اولا ، وثانياً لان ذلك من واجباتي كجندي في الجمارك . وقضيت ما يقرب من ثلاثين ثانية في قطع نصف المسافة اليه اي ما يقرب من خمسين متراً ، وقد لاحظت خلال سيري هذه المسافة ان النور صادر عن جسم اكبر حجما من النور نفسه ، كان ذلك الشيء يبدو بارزاً ، لان بناء الارصاد الجوية من خلفه مدهون باللون الاصفر . وكان يبدو لـكن اللون كما تبدو جميع الاشيـاء في الظلام . لذلك فليس في وسعي ان اذكر نوع المادة التي صنع منها ، واستطعت بالقياس الى البناء الذي كان بادياً من خلفه ان اقدر ان طوله يبلغ ٥ امتار وسمكه متراً واحداً .

كان ذلك الشيء في شكل كرة الركبي مـدبياً من طرفيه ، هذين الطرفين اللذين كانا باديين اكثر وضوحاً من باقيه ، لان نور النيون الاحمر الموجود على بناء الميناء كان يظهرهما بعض الشيء ، كان هذان الطرفان مدببين كثيراً ، وليس في وسعي ان اقول شيئاً عما كان من تحت الشيء ، لان التحدب السفلي كان غارقاً في ظلام دامس . لذلك فلست استطيع ان اقول ان كان ذا عجلات ام لا .

وكان النور الذي رأيته في البدء صادراً عن اربع نوافذ مربعة الشكل تماماً ، وقد قدرت ضلع كل منها بعشرين سنتمتراً ، وربما ثلاثين . كانت هذه النوافذ على خط واحد مرتبة بشكل يجعل مجموعها مركزاً على محور ذلك الجهاز .

اي ان اول نافذة من اليمين ، كانت على مسافة من جانب الجهاز تعادل المسافة التي تفصل اول نافذة من اليسار عن الجانب الآخر ، وكانت كل نافذتين مجموعتين معاً . وكان الفـاصل بين نافذة اليمين يعادل الفاصل بين نافذتي اليسار . اما الفـاصل في المنتصف فاكبر قليلا من الفاصل بين نافذتي المجموعة الواحدة . وكانت النوافذ تتبع تحدب هذا الجهاز الشبيه بالسيكار لذلك كانت نافذتا الجانبين تبدوان مائلتين قليلا . اما النور البادي من خلف هذه النوافذ فلم يكن ثابتاً .

لقد بدا يتحرك من خلف هذه النوافذ جيئة وذهاباً ، وكان لونه بين الزرقة والخضرة ، ولم يكن من القوة بحيث ينير اجزاء الجهاز الذي يقع عليها « لذلك لم تكن هذه بالنوافذ بالمعنى المفهوم فماذا كان من خلفها ؟ » وكان النور يختلف شدة كأن فيه وميضاً « تعليق الجريدة ، ان هذا الوصف يشبه ما يوصف به نور الهليوم عند الخبراء » .

وجدت نفسي حينئذ على خمسين متراً من الشيء ، وكنت اتابع السير من خلفه ، اي من الجانب الايسر . حينئذ ظهر من تحت الطرف المدبب حزمة من الشرر ، واني اقول من الشرر لأني لا اجد كلمة اخرى ، اذ كان ذلك يشبه جزئيات صغيرة من الضوء ، لم تكن كافية لانارة الجزء الذي تصدر منه . وكانت الحزمة موجهة نحو الخلف بصورة مائلة الى الارض . وفي نفس الوقت ارتفع الجهاز من مقدمته .

وقد احدث ذلك حفيفاً يشبه الصوت الذي يصدر عن صاروخ من صواريخ الالعاب النارية ، ولم يكن قط شبيهاً بالصوت الصادر عن محرك طائرة نفاثة ، بل كان ضعيفاً جداً . ولم يكن مزعجاً في الاذنين . كذلك لم يحدث اي تيار هوائي ولا نفخ .

وقد بغت بذلك . فتراجعت خمس خطوات . وخيل لي برهة ان الجهاز مغير علي . وكانت حركتي هذه ناتجة عن انفعال عصبي اكثر منها بسبب الخوف . لكن الشيء بعد انطلاقه المفاجيء ، لم يبق مرئياً اكثر من ثانيتين او ثلاث ثوان . لقد اندفع بسرعة هائلة دون اي تمهيد كانت سرعته في الانطلاق تزيد خمس او عشر مرات عن سرعته في الهبوط . ماذا كانت هذه السرعة ؟ الف كيلو متر في الساعة ؟ الفان ؟ ثلاثة آلاف ؟ لا ادري ، كل ما ادريه انه انطلق بميلان قليل ، فمر بين بناء العمليات وبناء مراقبة المدرج وكان حينئذ اخفض من السقف اي دون ارتفاع عشرة امتار . ثم اختفى باتجاه مستنقعات بيروغابت النوافذ عن ناظري ولم اعد أرى سوى الجزئيات المثيرة المنطلقة من الخلف .

ورحت ابحث عن احد اقص الحادث على مسامعه ، فرأيت وكيل شركة ايرفرانس في الساعة ٢٫١٥ ويدعى داغوتان فقال لي : ما اشد شحوب وجهك ! ولم اجد في برج المراقبة سوى شخص واحد وطبيعي انه لم ير الشيء ، لان المكلف ببرج المراقبة ، يغلب ان ينظر الى المدرج الرئيسي عن يمينه . ثم ان المكان منار بضوء متوهج بحيث لا يمكن للمقيم فيه ان يلمح اي ضوء ضعيف على المدرج .

هذه هي القصة التي رواها الجندي غاشينيار ، ولو انه سئل عن الانطباعات التي تركتها في نفسه هذه الحادثة لقال :

– ليس هذا من صنع البشر ولا يعقل ان يكون كذلك ، كل هذه القوة ، كل هذه السرعة .. ومع ذلك فاني لست بالرجل الخبير .

ما هو اذن هذا الجهاز ؟ لسنا قادرين على الجزم بشيء . هل هو صحن طائر اذا كانت الصحون الطائرة حقيقة واقعة ؟ من الممكن ان يبدو جهاز ما مصنوع بشكل قرص ، كالسيكار اذا شوهد من ارتفاع مناسب وان شكل القرص يتميز في مثل هذه الاحوال بان يكون جانباه منارين اكثر من وسطه . ثم ان الجندي غاشينيار قد اقترب من الجهاز بطريق مائلة متبعاً خطاً مستقيماً فلو ان الجهاز كان بشكل سيكار لشاهده اقصر قليلا بسبب وقوع نظره مائلا عليه ولو كان مصنوعاً على شكل قرص كالعدسة لما تبدل شكله مهما اختلفت زاوية النظر اليه .

ويجدر ان نلاحظ من جهة اخرى ان هذا الجندي قد اعتاد رؤية كافة انواع الطائرات ذات المحركات او النفاثات وقد اتيح له أن يشاهد الطائرة الاميركية النفاثة لودوك لذلك فلا يمكن ان يشبه له ذلك الجهاز في تلك الليلة .

ولم يستطع غاشينيار ورؤساؤه ان يعثروا على اي اثر في المكان الذي حط فيه الجهاز . ولكن بعض اصدقاء الجندي اعلموه ان خبراء الشركة الوطنية الجنوبية الشرقية لصنع الطائرات قد جاءوا بالات كاشفة وعثروا على اثار حرق في الارض .

ويمكننا هنا ان نعيد الى ذاكرة القراء ما حدث صيف عام ١٩٤٨ للمدعو كلايد تومبوغ اذ رأى في المكسيك الجديدة جهازاً يحلق على ارتفاع قليل وبسرعة هائلة . كان هذا الجهاز يخلف اثراً مرئياً ، وكانت له نوافذ عديدة . ولم يفكر حينذاك احد بالسخرية من كلايد لانه احد كبار علماء الفلك في العالم ، وهو الرجل الذي اكتشف الكوكب الاخير بلوتون .

كذلك فان الرؤيا التي شاهدها جندي الجمارك في مطار مارينيان قد لا تكون اقل جدية من تلك الرؤيا .

« الفيحاء » **محمد الكاتب**



٢٣ ديسمبر ١٩٥٢ – استقالت الوزارة الفرنسية التي يرأسها المسيو انطوان بيناي .

٢٤ – اطلقت السلطات الامريكية في المانيا الغربية سراح المارشال وليلهم لست أحد القادة السابقين لاسباب صحية وكان محكوما عليه بالسجن المؤبد كمجرم حرب .

– وجهت جريدة النيويورك تايمس عدة اسئلة الى المارشال ستالين فكانت الاجوبة انه واثق بان الحرب بين امريكا والاتحاد السوفياتي يمكن تجنبها وباستطاعة البلدين العيش معا بسلام وان الاتحاد السوفياتي يرغب في انهاء الحرب الكورية وبان ستالين يرحب بالاجتماع الى الجنرال ايزنهاور الرئيس الامريكي لتخفيف التوتر الدولي .

٢٨ – اذاعت القيادة العامة للقوات السورية اكتشاف مؤامرة بين بعض رجالات الاحزاب السورية وبعض ضباط الجيش وقد اوقف هؤلاء الضباط مع سواهم .

٢٩ – احالت الحكومة السورية عدة ضباط الى المعاش كما سرحت عددا آخر من الخدمة .

– قام الجيش في الفلبين بحملة اعتقالات بين الزعماء السياسيين لتدبيرهم مؤامرة ضد سلامة الدولة .

٣١ – سافر المستر تشرشل رئيس الحكومة البريطانية الى نيويورك ليجتمع بالجنرال ايزنهاور ويجري معه محادثات غير رسمية .

٣ يناير ١٩٥٣ – أعلن في لندن ان تركيا اقترحت رسميا اشراك ايران والباكستان في مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط .

٥ – وصل الى طوكيو سينغمان ري رئيس جمهورية كوريا الجنوبية ليقوم بمحادثات رسمية مع رئيس وزراء اليابان وقد صرح بان من الواجب تسامح كوريا واليابان .

– افرجت بريطانيا عن عشرة ملايين جنيه استرليني من ارصدة مصر المجمدة في مصرف انجلترا .

٦ – افتتح في رانغون بالهند مؤتمر الاحزاب الاشتراكية الآسيوية ويعتبر هذا المؤتمر من ابرز الحركات الحزبية في آسيا .

٧ – قضت حكومة بوليفيا على حركة انقلاب عسكري قام بها الكولونيل ميلتون دلفن كانالدي رئيس اركان حرب الجيش .

– وجه الرئيس ترومان في « وصيته السياسية » التي قدمها الى الكونجرس وشعب الولايات المتحدة نداء الى المارشال ستالين يطالبه فيه بتعديل الفكرة الشيوعية المتعصبة تمهيدا لجعلها اكثر تفهما للحقائق الجديدة التي قدمها العلم للانسانية . ومما قاله : ان قيام حرب اليوم بين القوتين قد تحفر قبور خصومنا وقبر مجتمعنا وعالمنا وعالمهم على حد سواء .

– نال المسيو رينه ماير المكلف بتشكيل الوزارة الفرنسية ثقة المجلس الوطني وانصرف الى تأليف الحكومة الجديدة .

٨ – وصل السنيور دي جاسبري رئيس الوزارة الايطالية الى اثينا في زيارة رسمية .

٩ – أعلن اللواء محمد نجيب ان مصانع الذخيرة في مصر قد تم انشاؤها وتجهيزها كما ان الاسلحة هي الآن في طريقها الى مصر .

– حكمت المحكمة في عدن في قضية ناقلة البترول الايطالية «روزماري» التي حجزت في عدن وهي تنقل شحنة من الزيت الايراني فقضت بان يعاد الزيت الى شركة الانجلو ايرانيان مع المصاريف معتبرة ان ايران صادرت هذا الزيت بفرضها التأميم على الشركة دون تعويض وان الزيت الايراني ما يزال معتبراً ملكا للشركة . وقد صرح مدير الشركة الايطالية صاحبة « الروزماري » بانه سيستأنف القضية الى محكمة اعلى .

١٢ – اعلن رسميا ان الحكومة البريطانية طلبت الى الاتحاد السوفياتي الاشتراك في محادثات رباعية جديدة حول معاهدة الصلح مع النمسا

– صرح وزير خارجية الدانمارك ان بلاده تلقت عرضا من الجنرال ريدجواي القائد العام لقوات الحلف الاطلنطي يقضي بان تسمح الدانمارك لقوات الحلفاء بان تعسكر في اراضيها زمن السلم .

١٣ – احدثت تصريحات المارشال مونتجمري نائب القائد الاعلى لقوات حلف شمالي الاطلنطي عن ضرورة اشتراك بريطانيا في الجيش الاوربي ضجة كبرى في الاندية السياسية في لندن وعكفت وزارة الخارجية على دراسة وجهة نظر القائد البريطاني .

١٤ – وافق المجلس الوطني اليوغسلافي على قانون تعديل الدستور . وقد عمد الى انتخاب اول رئيس للجمهورية بمقتضى القانون الجديد فانتخب المارشال تيتو رئيسا للجمهورية اليوغسلافية .

١٥ – اعلنت وزارة الخارجية البريطانية ان السلطات في المنطقة البريطانية بالمانيا اكتشفت مؤامرة نازية للاستيلاء على الحكم في المانيا الغربية وقد اعتقل المتآمرون .

١٧ – كشف النقاب في القاهرة عن احباط اللواء محمد نجيب ومساعديه من اركان الحركة التحريرية لمؤامرة ظل امرها مكتوما حتى اليوم

– اذاع اللواء محمد نجيب بيانا أعلن فيه حل جميع الاحزاب السياسية ومصادرة جميع اموالها وقيام فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات لتتمكن الحكومة من اقامة حكم ديمقراطي ودستوري . وجاء في البيان ان بعض العناصر قامت باتصالات مع الدول الأجنبية .

– اصدرت السلطات العسكرية المصرية اوامرها باعتقال ٢٥ ضابطا من ضباط الجيش كما اعتقل عدد من المدنيين ومن بين المعتقلين القائمقام رشاد مهنا الوصي السابق على العرش وفؤاد سراج الدين والنبيل عباس حليم .

١٩ – وافق مجلس النواب الايراني على منح الدكتور مصدق رئيس الوزارة مايطلبه من سلطات خاصة لمدة سنة جديدة ، وكانت هذه القضية موضع نقاش سابق عنيف شغل ايران وهدد خلاله مصدق بالاستقالة .

– كذب اللواء محمد نجيب في مؤتمر صحفي ان تكون هناك مؤامرة ضد العهد وقال : يجب ان نكون حذرين وليست هذه الا تدابير لحماية الامن .

٢٠ – احتفل في وشنطن بتنصيب الجنرال ايزنهاور رئيسا لجمهورية الولايات المتحدة الامريكية .

٢٣ – اشتد القتال الجوي في كوريا لا سيما في الشمال الشرقي .

دار الطباعة والنشر اللبنانية – بيروت
تليفون 98 - 35